



المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

صاحب المجلة ومديرها .
ورئيس تحريرها المشرف

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

—

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد الثالث القاهرة في يوم الأربعاء ٢٠ شوال ١٣٥١ — ١٥ فبراير ١٩٣٣ السنة الأولى

بين السوامر والصحف

الرسالة وقرئوها :

خرجت الرسالة الى قرائها على الحال التي سمحت بها صعوبة البدء وأثالة العمل ، فاستقبلوها استقبالا ماوقع في الظن ولا تعلق به الأمل . ولا يزال البريد يحمل البنا كل يوم رسائل الاصدقاء والقراء تفيض بحسن الظن ، وجمال العطف ، وكرم التعصيد ، ومحض النصيحة . ومن هذه الرسائل الكريمة ما يستحق النشر لدقة ملاحظته ، وأورقة أدبه ، أو سداد رأيه ؛ ولكن دورانه على الثناء والتعريف يجعل في نشره انهماك لخلق الرسالة .

وقلنا تجد انبل عاطفة من رجل يبنى بعملك لذاته ، ثم يحمل نفسه ووقته جهد الكتابة اليك صفحات في تأييده وقدره ، ثم لا يرصد بعد ذلك ان ييوج لك باسمه !!

فهرس العدد

- ٢ من السوامر والصحف
- ٥ العلم والأدب للاستاذ احمد أمين
- ٧ خط الأدب في مصر للاستاذ عبدالمعز الجبوري
- ٩ أثر الثقافة قصرية في العلم والعالم للزيات
- ١٢ فلسفة شيونهور للاستاذ دكي نجيب محمود
- ١٤ لمحات من رحلت فرزق للزيات
- ١٦ كسوف حلق الشمس للاستاذ عبدالحيد سباعه
- ١٧ القواميل المؤثرة في الأدب
- ١٩ تطور في الجهاد للاستاذ جميل صدق الزماوي
- ١٩ مرآة المحاب للككتور محمد عوض
- ٢٠ لسان قلم محمود طه المهديس
- ٢١ الاصل القادسي والاصب العربي للككتور عزام
- ٢٢ الخلاص للاستاذ عبد المسيح وزير
- ٢٤ القرية المهجورة للشعري
- ٢٥ نسيبة فلة للاستاذ احمد أمين
- ٢٦ بيت الراعي ترجمة محمد عبد الحيد منصور
- ٢٨ على حاشي السيرة للككتور طه حسين
- ٢٩ الرجل صاحب الكلب للاستاذ محمود نيمور
- ٣٥ زبد أن نجيب للاستاذ أنور شامول
- ٣٧ رسالة الى دكتور سينا للاستاذ المبرهان محمد
- ٤٠ لايتيون وكسوبيون للككتور طه حسين
- ٤٢ الكتب : غنى الاسلام — ٤٥ القبل الصادق

بشرك في تحرير المجلة

الدكتور طه حسين

رأى أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

طبعة مطبعة فاروق ٢٨ شارع الميناء بالقاهرة

قال هؤلاء تقدم الرسالة بموفور الشكر على ما يرجون لها من خير ، وما ينيطون بها من ثقة ، وتسال الله أن يؤكد لها أسباب التوفيق حتى تتحقق الظنون وتصدق الأمانى . آراء القراء :

من الكرام الكاتبين من يطلب الى الرسالة المزيد في التعمق والافاضة ، ومن يرغب في شيء من الفكاكة والبساطة ، ورأى الأولين ان تقصر على أدب الخاصة ، ورأى الآخريين أن تستدرج ذوق العامة ، والرسالة ترجوان توفق بين الرأيين ، بأن تتخذ طريقها بين بين ، ثم تنشر الحين بعد الحين اعدادا خاصة بما تجمع لديها من البحوث المستفيضة والدراسات العميقة والقصص الصافية .

لأنافيل طرآية :

لاحتاذ محمد بك مسعود أثر جميل على الثقافة العامة منذ طویل .

وعهد القراء بأسلوبه سائق المورد مانوس اللفظ فيما نشر من صحف وألف من كتب . ولكنه منذ توفر على محاكاة الأستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروية في محيصة التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أعراض الغرابة التي تلازم اللغويين ، والاعتداد الذي يساور العلماء .

ولاحظ أن تعرض لهذه الروح المنبثة في المناظرة (الطوطوشية) وأمثالها . فاتها بين عالمين جليين لا يجهلان أن المن يفسد العلم . وأن شهرة التغلب تظلم الحقيقة ، أنما زرع إلى الأستاذ مسعود أن يوافقنا على أن حياة اللغة في أحياء اللفظ الذي لا نظيره في مألوف الكلام ، أما استبدال صيغة مهجورة بصيغة مشهورة كاستعمال اشاعيل بدل شواغل ، وطراية بدل طارئة ، وصروخا مكان صراحة ، وقنورة في موضع قدرة ، ومثيوخا بدلا من شيوخ ، فأحياء شر من الموت ، ويان انمض من العى !!

التجديد والتقليد :

صديقنا الهراوي على تجديده ينكر التجديد . ويرغم أن كلمتي قديم وجديد يتقصهما التحديد ، وكنت أحب أن أكون بجانبه حين قرأ في الأهرام (نقاشات شاعر) لصديقه وزميله الأستاذ نسيم ، اذن لاخذت اعترافه بأن في الشعر جديداً وقديما ، وإن الخطيئة قديمة عبدالمطلب وقد يسمى نسبيا ؛ والآ قال من كان ينسب هذا الشعر لو لم ينشر تحت اسم صاحبه ؟ وما زعمتني الحادثات كشائح رسا بهضاب فوقه وإكام ولله مرنان رددت سهامها وقابلتها من جيبتي بهام فقدت صديقي اللذين تبوأ من الشعر أعلى ذروة وسنام واصبحت في جبل نابي ودم وساء ثوابي بينهم ومقامي وليس لهم غيري إذا جد جدم وخطب الرزايا حولهم مترام ولو شئت كانت لي زعامة شعرهم وكنت لمن يأثم خير امام شوارد تزري بالخطيئة هاجيا وتعي جريرا في مديح هشام له الحمد ثم الحمد ماذر شارق وما در عت بطحاء مكة ابتق ونحن بلرزاق لها وبقام وما شدت الا كوار فوق جنتونها وقيدت بشزر محصد وزمام وبعد فان الشاعر الذي يجعل الشعر جبلا وجلا ويتخيل الهضاب والآكام والجباب والسهام والارزام والبنام . ويذكر بطحاء مكة والكوار النوق وهو في رياض الجزيرة وعلى ضفاف النيل ، ويرغم انه موئل قومه وليس من الزعامة في كثير ولا قليل ؛ لا يسوغ في العدل الادنى أن يقيد على حساب هذا الجليل ؛ إن تعدد الاساليب في العصر الواحد أثر طبيعي لا اختلاف

العوامل المؤثرة في كل شاعر ؛ ولكن الاسلوب الذي لا يتسجم مع أمور الحياة ؛ ولا يتصل بشعور الاحياء . لا يدخل في هذه الاساليب . ولا يدل وجوده على شاعر ولا أديب

فنان وقصيب :

كتب الأستاذ ابراهيم المصري فصلا قويا في البلاغ عن أدباء الشباب . أدباء الجيل الماضي . نعى فيه على هؤلاء استئثارهم بالمجد واحتكارهم للشهرة وانكارهم في سبيل ذلك جهود الشباب . وخشى أن يكون ذلك الانتماء المضمر بالأدب الشاب تخوفا من انهزام أدب انتشار لخلو الميدان ، واشتهر . بطول الاعلان ، فلا يحل بطبعه للتأخر والنقد . وقال ان شيوخ الكتاب في الغرب لا خلاصهم لرسالتهم الادبية وثقتهم بملكاتهم الفنية . يبددون خطي التبوغ الناشئ . ويرفعون ذكر الشباب الموهوب ، ويمهدون السيل لخلافة الجيل الحاضر ، ثم ييب بالعزائم الفنية ان تعلن الحرب المشروعة على هؤلاء القادة الذين كسبوا هذه العناوين من غير جهد ، ونالوا هذه النياشين من غير حرب . والرسالة تقر الأستاذ المصري على رايه وترى من الجناية على الأدب ان تظني اثر الكحول على هذا الطموح . وان تكون الهبة على الصحافة وسيلة الى كبت هذا الروح . وتعلن انها بطيئتها ومبدتها ستكون ملحق الوثام بين الجيلين . وسفير السلام بين الفريقين

فران دمج لغة قديمة

بنام صديقنا المصري والزهوى ملء الجفون في قصرهما المتقابلين على طريق الاعظمية ولا يعلمان انهما اقضا مضجع وزارة المعارف المصرية ليلة : فقد روت الصحف المحلية أن الاستاذين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي وساطع بك المصري رفضا ترشيحهما لعضوية المراسلة للمجمع وجرى في خلال ذلك ذكر لجنة التأليف والترجمة ، فظنت السياسة أن هذا الترشيح كان اقترابا من لجنة التأليف والترجمة التابعة للمجمع ، واذن يكون هذا الرفض تسفيرا للوزارة من جهة . ودليلا على اعراض البلاد العربية عن المجمع من جهة أخرى فأخذت الوزارة من مقال السياسة المقيم المقعد . واصدرت بلاغا رسميا تكذب فيه أن يكون منها عرض . ومن الادبيين رفض . ووجه الوفاق بين المعارف والسياسة أن لجنة التأليف والترجمة هذه ليست تابعة للمعارف المصرية وانما هي لجنة من لجان المعارف العراقية . تنظر في تأليف الكتب العربية وتقر المؤلفات العربية . أما كيف دخل في اختصاصها ترشيح الاعضاء . فذلك أمر نسال عنه وزارة (الزوراء)

سَاعِ الْإِلَهِانَ

الأدب والعلم

للأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

مرت كلمة الأدب والعلم في اللغة العربية في أدوار عدة . استعملوا كلمة الأدب أحياناً فيما يرقى الخلق ويهذب النفس واستعملوها أحياناً بمعنى أوسع حتى عدوا أفحش شعر لجرير والفرزدق والاختل أدباً ، وعدوا خمرات أبي نواس وغلانياته أدباً كما يعد الفنان بعض الصور فناً وإن كانت صورة لوضع مستجن أو فعل فاضح ، وكذلك الشأن في كلمة العلم ، كانوا أحياناً لا يستعملونها إلا في العلم الديني ، ثم توسعوا في معناها حتى شمل كل ما ينتجه العقل والفن . وفي العصور الحديثة فرّقوا بين الأدب والعلم ورسموا لكل دائرة ، ومن ثم كانت الصحيفة أو المجلة أحياناً أدبية ، وأحياناً علمية ، وأحياناً أدبية علمية ، وأصبح من المضحك أن تقول علم الأدب لأن العلم غير الأدب ، وأصبح لدينا من يسمى أدبياً فلا يكون عالماً ، وعالماً فلا يكون أدبياً ، وتديكون أدبياً عالماً ولكن كلمة عالم الأزهرية إنما اشقت من العلم بالمعنى الواسع الذي يشمل الأدب والعلم معاً .

وبعد فما الفرق بين العلم والأدب ، وما الذي يجعل الأدب أدباً والعلم علماً ؟

الحق أن كلمة الأدب والعلم من الألفاظ الغامضة التي تفهمها نوعاً من الفهم فإذا أردنا تحديدها حرناً في أمرها . كالجبال والمدل والخيال والحرية والعبودية ، وإذا سألتنا — حتى الخاصة — في معناها أجاب كل حسب ميوله وأغراضه وحسب طبيعة فهمه للكلمة .

هناك أشياء لا نشك في أنها علم أو أدب . فلو سئلت عن نظريات الهندسة وقانون اللوغاريتمات وقوانين الحساب والطبيعة والكيمياء فذلك علم بالبداهة ، وإذا سئلت عن قصائد بشار وأبي نواس والخني ومقامات الحريري فذلك أدب لا علم ، ولكن ما حدود الأدب وما حدود العلم ؟

قد عودتنا الطبيعة أن الاضداد تفهم ما تباعدت ، فإذا ما تقاربت حدودها صعب فهمها ، ما أسهل ما تقول إن هذا ظل وهذا شمس ، ولكن عند تقارب الظل من الشمس تجد خطوطاً يصعب أن تقول أمى ظل أم شمس ، وما أسهل ما تقول إن هذا الماء حار أو بارد إذا اشتدت حرارته وبرودته ولكن ما أصعب ذلك إذا أخذ الحار يبرد والبارد يسخن فأنك تصل لا محالة إلى درجة يمسر عليك الحكم فيها بالحرارة أو البرودة .

أكبر ظاهرة في التفريق بين الأدب والعلم أن الأدب يخاطب العاطفة ، والعلم يخاطب العقل ، فإذا قلت إن زوايا المثلث تساوي قائمتين فأنك تخاطب العقل ولا تمس العاطفة وإذا قال المتنبي : خلقت ألوقاً لو رحلت إلى الصبا لفارقت شبي مومع القلب باكياً فهو يمس العاطفة أولاً ، ومن أجل هذا كانت المجلة الأولى علماً وبيت المتنبي أدباً .

العالم يلاحظ الأشياء يستكشف ظواهرها وتوابعها وعلاقتها بأمثلها وما يحيط بها ، على حين أن الأدب لا ينظر إليها إلا من حيث أثرها في عواطفه وعواطف الناس ، ينظر النباتي إلى شجرة الورد فيدرس كل جزء منها والتفصيلات التي تطرأ عليها من وقت ينزها إلى وقت فاتها ، ومن أية فصيلة هي ، وما علاقتها بالفصائل التي تقرب منها ، أما الأدب فينظر إلى أجزاء الشجرة منقطة متناسبة ويرى أنها لم تخلق إلا لزهرتها الجميلة ، وأن بين الزهرة وقلبه نبأ ، يسحب بحمرة لونها على خضرة أوراقها ويذهب خياله في ذلك كل مذهب أما النباتي فيبحث لم كانت الزهرة حراً وأوراقها خضراء . عالم الحياة لا يرى في الفتاة المحبوبة إلا إنساناً خاصماً لكل أبحاث البيولوجيا أما الأدب فيرى في محبوبته شيئاً وراء كل ما يبحث عنه العالم هي . الحياة وهي الدنيا وهي النعيم إذا وصلت والبؤس إذا صلت ، أو يقول مع القائل :

وبلاء إن نظرت عنوان هي أعرضت وضع السهام ونزع عن أيم قال الكلام إذا لم يثر عاطفة لم يكن أدباً فإذا هو يخاطب العقل وحده كان علماً ، وإذا أضمن في إثارة العاطفة كان أضمن في الأدب . وليس الأدب وحده هو لغة العاطفة فقد تفرقت في هذا الموسيقى فهي قادرة على أن تضعك وتبكي ، وترى وتمزج وترور حزناً ،

ويعجز حزننا ساراوتولم ألما لذيقنا ، وتلك لغة أليمة ، وتثير الشجاعة حتى لتدفع الى الموت ، وتفك الحمول حتى لتدعو الى التوم . تقدر الموسيقى أن تفعل كل ذلك في العاطفة ، وهي أشهر من الأدب لأن الأدب يخاطب العاطفة بواسطة الكلام ومن طريقه أما الموسيقى فتخاطب العاطفة وجها لوجه من غير وسيط . تؤثر فيك أدوار العود والقانون واليانو ولو لم تصحب بكلام ولو لم تفهم أى معنى منها ، بل قد تكره أن تفهم إلا النغم وحلاوته والتوقيع وعذوبته . أما الأدب فلما اعتمد على الكلام والكلام إنما يفهم بالعقل . كان لابد للقطعة الأدبية من قدر من العقل ومن المعاني تستثار بها العاطفة وتنبج منها المشاعر .

وارتباط العاطفة بالأدب هو الذى منح الأدب — لا العلم — الخلود ، فالتاج الأدبي خالد أبدي لا التاج العلي قصائد امرئ القيس والنابغة وجريز والفرزدق وبشار وأبي نواس والمتنى كلها خالدة تقرأها فتلتذ منها كما يلتذ منها من كان في عصرهم ، فإن أحتاج الى شئ . ففسر ما غمض من الألفاظ والمعاني ، وهو بعد يشعر بشعورهم وبسر كسرورهم . ثم القطعة الأدبية لا تمل ، تقرأها ثم تقرأها فترى منها في الثانية سرور كسرورك منها في الأولى ، بل تحفظها ثم تتشوق لتلاوتها وتكرارها . وليس ذلك هو الشأن في العلم لخفايق العلوم خالدة ولكن منتجات العلوم غير خالدة فما في كتاب أقليدس من نظريات هندسية خالدة ولكن الكتاب لا يقرأه الآن إلا من أراد أن يرجع الى تاريخ الهندسة ، وكل كتاب في الهندسة يموت بمرور سنين عليه ولا تعود له قيمة إلا القيمة التاريخية مهما حوى من نظريات جديدة تزيين جديد . وكذلك كتب الحساب والجبر والطبيعة والكيمياء والفلك ليست خالدة وإن كانت الخفايق التي فيها خالدة ، بل الطبعة الثانية من هذا الكتاب تقضى على الطبعة الأولى بالفناء إذا دخلها تغير ، وليس طالب علم الآن يرجع الى ما ألف من خمسين عاما إلا إذا أراد أن يورخ العلم ولكن طالب الأدب يرجع الى ديوان المتنبي الآن ليندوق أدبه ولغة مشاعره كما كان ذلك منذ ألف عام وقد حفظت بعض قصائده ولا تزال أستمع بترديدها ولكن إن أنت قرأت كتابا في الرياضة وفهمت ما فيه لا تستطيع بحال أن تعيد قراءته الا على مضض .

والسبب في هذا — على ما يظهر — أن عواطف الناس لم تقدم كما تقدمت عقولهم . قد ترقى العواطف شكلا فترى أن الاحسان الى الفقير بأعطائه درهما ليس خيرا ولكن خيرا منه بناء مستشفى وإنشاء ملجأ ونحو ذلك . ولكن العاطفة هي في أساسها وقد ترقى عاطفة الخير ألا يوى فلا ترى مانعا من دفع الاولاد الى حرب الحياة

وجوب الاضطرار ولكن العاطفة في أساسها واحدة . أما العقل فوثاق دائن اراق أبدانك الشكل وفي الأساس يرى حلالا اليوم ما كان حراما بالأمس ويرى حقا الآن ما كان باطلا من قبل ويخترع كل يوم جديدا وصوغ حياته وفق الجديد . ومن أجل ذلك لا يلذ له أن يقرأ عقل الساجين الا كما يقرأ تاريخهم ولكن عواطفه هي هي ركزت وثبتت فلنذ اليوم بما يمثل عواطف الاقدمين وإن كرت عليها الدهور ونوالت العصور . وليس الامر بهذا القدر من السهولة في الفصل بين الأدب والعلم . فهناك أنواع يصعب الفصل فيها حتى على الخاصة أدب هي أم علم ، هناك أدب . معلم . وهناك علم « مؤدب » هناك تاريخ صبح صياغة أدبية فلا يكتفى بسرد الحقائق وتعيين زمن وقوعها وإنما يوضح ذلك في قالب يثير شعورك للاحتذاء والقذوة أو للعب أو للكرامة وهناك فلسفة صيغت في قالب قصة . وهناك طبيعة وكيمياء صاغتها بذ صناع ماهرة في الفن تحمل قلم أدب فأخرجت منها موضوعات شيقة تثير عاطفة الجال وتستخرج الإعجاب بما في هذا العالم من ابداع وفن .

هذه الموضوعات وأمثالها ليست أدبا خالصا ولا علما خالصا وإنما هي علم أدبي أو أدب علمي . هي أدب بمقدار ما تثير من عاطفة . وهي علم بمقدار ما فيها من حقائق .

العلم لغة العقل والأدب لغة العاطفة ولكن لا بد في هذه الحياة أن يلفظ العلم بالأدب ، والأدب بالعلم ، فالعقل اذا جمع استخف بالشعور وجعل الحياة ثمنا للعلم وهو اذا مزج بشئ . من الأدب من الحياة ورفه على الناس . والعاطفة اذا شردت كانت ثوراننا وهياجنا . ألا ترى التعجب يزيد فيكون نباحا ، والعشق يهيم فيكون جنونا ؟

احمد امين

ضحى الاسلام

هو الجزء التالي لفجر الاسلام

يبحث في الحياة العقلية للعصر العباسي الاول

تأليف

الاستاذ احمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة

ونحو عشرون قرشا

حظ الاديب في مصر

للأستاذ عبد العزيز البشري

خاص بعض أفاضل الكتاب في هذا الحديث فتظاهروا على أن
الادب لا يجدى في مصر على أهله، وإن هو أجدى بعض الاحيان
فقى شح وتفتير، إذ هو في بلاد الغرب يعود بالفنى والثراء، وقد
يعود بأوسع الفنى وأضخم الثراء، وراحوا يشتمون مذاهب
العلل والاسباب لهذه الحال: ومن بين هذه الاسباب قلة عدد
المتعلمين في البلاد، وقصور هؤلاء، عن اقتناء كتب العلم والادب،
وعادة اذا استخرجت منهم أبحاثها، وانتشار الادب الرخيص
تنضح به بعض المجلات الاسبوعية فيقبل عليه الشباب من المتعلمين
ومن لا يزالون في طريق التعلم مطاوعة للشهوة، ولانه لا يحتاج الى
كد ولا مطالعة، وكذلك اضافوا الامر الى اثره الناشئين
واستغلاهم حاجة الادباء وضعف وسائل هؤلاء، الى القيام بنشر
آثارهم بأنفسهم، ثم الى عدم عناية القادرين، من أى صنف كانوا،
بالادب الرفيع يذكرونه بألوان المعونة والتشجيع.

وكل هذه الاسباب لا تعدو في رأى الحق الواقع في كثير ولا قليل،
وعلى ذلك لم أضع القلم اليوم لمناقشتها والتماس سواها، وإنما
لأسرد تاريخاً موجزاً لصلة الادب بالمادة في بلادنا ابتداء من
الجيل الذى شهدنا طرفه الى غاية هذا الجيل الذى نعيش فيه.
كان الادب من يضع ويخمين سنة مجرد حلية وزينة يتكلفه
المثادبون إما للدفاكة والتعابث والتظرف، وإما للزلفى طلباً
للتمكن من المنصب أو الحظوة عند أولى الامر، أو استخراجاً
للاحسان.

لم يكن الادب، في الجملة، اذن يطلب غرضاً سامياً سواء من
امتناع النفس باطلاعها على ما في الكون من قسوة وجمال، أو
معالجة القضايا المعقدة وملازمة الاسباب الدائرة بين الناس.
فكان الشعر في الجملة أيضاً، ينور في المذاهب التي سلكها العرب
الأقدمون من مدح وعجاء، وفخر وغزل ورمث، على أنه، حتى في
هذه الأغراض الضئيلة لم يكن أكثره على شئ من الخطر سواء
في سمو المعاني أو في قوة الأداء. بل كان تلاً ضعيفاً متزائلاً
الاجزاء، وكيف يشعر لا يريد على أنه تقتضى دارساً لما أزل شعراء
العهد العثماني: التماساً للحسنات اليدوية من جناس وتورية
واستخدام، بالغة ما بلغت المعاني وواقعاً ما وقع نظم الكلام.

أما النثر، وأعني النثر الفنى بالضرورة، فكان أشد تسوفاً وأبلغ
تزايلًا: كلام لا يكاد يجرى لغرض أو يستشرف الى غاية؛ إنما
هو السجع يلزم فيه كله فقرى فيه السخن والبارد، والحلو والحامض.
لم يكن من شأن هذا المقال أن يعرض للاسباب التي بعثت هذا
الادب القوى العالي الذي نذوقه اليوم، فذلك مبسوط في كتب
تاريخ الادب العربي. وإنما عقدنا هذا الكلام لا يراد موجز من
تاريخ التكسب بالادب عندنا في العصر الحديث كما ذكرنا في
صدر هذا المقال.

لقد كان التكسب بالشعر، في الجملة، من طريق واحدة، هي
ان طائفة من يتكلفون نظم الكلام كانت الحاجة تبعثهم الى أن
يرتصدوا لحكام البلاد وأعيانها وموسريها حتى اذا دخلت على
أحدهم نعمة من أى لون كانت أو مات له ولد أو نسيب بادروا
بازجاء التهنئات يمولون حروفها بماء الذهب، أو المراتى يحلون
رقاعها بالسواد، ولا يزالون يختلفون اليه في طلب العطية. وقد
لا يظفرون، في الغاية، إلا بتسريح بغير احسان. ولقد أساء هؤلاء الى
الادب ساءة بالغة، بحيث نشأت ناشئة الجيل الماضى وهى لا تكاد
ترى في الادب الا الكدية، ولا في الاديب الا أنه شحاذ.

أما التكسب بالنثر فكان له طريق آخر أقبح من ذلك وأخزى.
وذلك باصدار صحف صغيرة حقيرة لقد تظهر مرة في الاسبوع
أو في الشهر أو في نصف العام. ومادة كتبها في الواقع من
تخويف ضعاف النفوس بتشهيرهم وطلب معايبهم والتدسس الى
مكارهم إلا أن يشتروا أعراضهم، فان فعلوا والا فلا تهم الجيل.
ولقد انتهى، والحقيقة، هذان الضربان من التكسب بالادب
ولم يبق لهما في بلادنا، على ما أرى، من أثر. ولعل ذلك يرجع الى
تغير فهم الناس لمعنى الادب، وارتفاعهم به على ذلك الهوان،
والى انتشار الثقافة بوجه عام، والى خشية سطوة القانون
بوجه خاص.

وليس معنى هذا أنه لم يكن هناك أدب ولا أدباء، بل كان
الشعراء وكان خيار الكتاب، الا أنه لم يكن يتكسب أحد من
هؤلاء (ما عدا الصحفيين المحترفين) بصناعة القلم.

نعم كانت الصحافة بمعناها الصحيح، ولا زالت مهنة كريمة
نبيلة تجدى على أصحابها وعلى المشتغلين بها ما يعودون به على شملهم،
بل ما قد يفنيهم ويضيف اليهم النزوات الضخام. أما هواة البيان،
على حد التعبير الحديث، فلم يكن لهم من هذه الجدوى نصيب.

ثم كانت (الجريدة) وقام على شأنها استاذنا العلامة الكبير
أحمد لطفى السيد بك، فرأى أن يدعو نقرأ من كبار العلماء

والكتاب الى تغذية الجريدة من وقت لآخر بالمقالات المنيرة المنتقاة في مختلف أسباب الحياة، واجتعل لهم على ذلك الجمالات. ولعله في ذلك كان متهديا بسنة الصحافة في بلاد الغرب.

على أنه لما اشتدت قوة الصحافة في مصر وعظم انتشارها بحكم اطراد الحضارة وكثرة المتعلمين، وازدياد تتبع الجهرة للأسباب العامة وشدة اهتمامها بها - اضطرت - كبريات الصحف، بنوع خاص، الى العناية بتجويد تحريرها، واغزار مادتها، حتى لقد جردت بعض صفحاتها لطريف البحوث في شتى العلوم والفنون، وفوق أنها أضعفت وظائف محرريها أضعافا. فقد جعلت كذلك توجر الكاتنين فيها من غير محرريها بما لم يكن يحلم به أحد من عشر سنوات خلت.

هذه حقيقة للأدباء أن يغتبطوا بها، وإذا كان المدى بين حظوظهم وبين حظوظ رصفائهم في الغرب لا يزال فسيحا، فلم من الأمل في القريب مزيج إن شاء الله.

بقي الحديث في التكسب بالأدب من طريق نشر الكتب ودواوين الشعر. والذي شهدناه من أعقاب الجيل الماضي ولا نشهد غيره الى اليوم أن الكسب من هذه الطريق يكاد يكون مكسورا على جماعة الوراقين كما قال بحق بعض كبار الكاتنين. على أتى أرجو متأن يأذن لي في استثناء أصحاب الكتب المقررة للتدريس، فأولئك وحدهم المجتهدون، أو الذين كانوا مجتهدين الى وقت قريب. لقد كان الأدب عندنا، ولعله لا يزال عند الأكثرين الى الآن ينظم في سمط الكليات، والكليات عند أكثر الناس ليست حقيقة بأن يخفف المرء اليها، اللهم إلا إذا واثقه عفا، أو بغير مشقة ولا جليل انفاق. فبات بداها ألا تنفق كتب الأدب حتى تعود على أصحابها بنفقات طبعها، بله الثروة وكرائم الأموال.

أما كتب العلم، فإن العلم يطلب في بلادنا على أن يقضى الى إحراز شهادة رسمية تقلد محرزا منصبا حكوميا، فإذا لم يكن الأمر على هذا فلا كان علم ولا كان تعليم!

هذه حقيقة واقعة أرى أن أنكارها ضرب من النش والتدليس مشايعة لهوى الجمهور، والعياذ بالله! لعل واحدا في كل ألف من الذين ختموا دروسهم في بلادنا هم الذين يشقون كتابا عليها لا تعرفهم الى شقة حاجة المهنة. نعم لعل في الألف من المتعلمين واحدا أو دون الواحد هم الذين يطلبون العلم ويراجعون مدوناته ليكملوا أنفسهم، وليتزينوا من معارفهم، ويقسحوا في ملكاتهم. المعلم عسير الهضم، يكده الذهن ويجهد النفس، فقيم مكابذته وشدة المظاولة

في تحصيله ما لم تقض بتحصيله ضرورة ملحة قاسية، من ارهاق الولي أو الحاح الحاجة، أو جموح الشهوة الى المنصب يعرض الجاه، ويمز في الأهل والصحاب! فكيف يريدون أن تنفق عندنا كتب العلم للعلم!؟....

أما الكتب المقررة للتدريس فهي التي كانت الى وقت قريب، تندر على أصحابها الكثير، بل الذي يستطيعون أن يكاثروا به أعلى مؤلفي الغرب قدرا وأبدهم صوتا! ولا أحسب أن هذا الاجراء كله يرجع الى فضل المؤلفين وحده وعظم تجويدهم لما يخرجون من فنون الكتب، بل لعل شيئا من ذلك يعود الى أن هذه الكتب مفروضة فرضا على العديد الاكبر من تلاميذ المدارس تشتريه وزارة المعارف لهم أو تريد على شرائه، وإلا خذلوا في الامتحان وأفلتت الاجازات، أو على الاصح فاتهم التأميل في المناصب الحكومية، ولا حول ولا قوة الا بالله!

الواقع أن أكثر الكتب المقررة موف على الغاية من التجويد والاحسان، ولكنها غير مدبنة في رواجها الى هذا التجويد والاحسان. بل هي مدبنة في ذلك، مع الاسف الكثير، لأنها مفروضة على التلاميذ فرضا، ولو قد عدل عنها ما أخرجت المكتبات عشرين ما خرج منها على أسخى تقرير. وهذه الحقيقة المرة القاسية نرى مبلغ حظ العلم والأدب في هذه البلاد.

ومهما يكن من شيء فإن لنا أن نفتبط، ولو قليلا، إذا نحن قنا حاضرا بماضينا القريب، فبين مؤلفينا من يستردون من أثمان مؤلفاتهم ما أخرجوا لطبعها، وفيهم من تفضل عليهم من الربح الكثير أو القليل. وكل الذي نرجو أن تطرد هم الشباب في تحصيل العلم الصحيح، وتجرد عزائمهم في طلب الأدب العالي، معرضين عن التماس هذا الأدب الهين الرخيص هنالك تتبع في البلاد الحياة القوية العزيزة هنالك يجازي العلماء والأدباء بما يكافئ الجهد العظيم؟ عبد العزيز البشري

مطبعة فاروق

٢٨ شارع المدايع بمصر

لا تعلن عن نفسها إلا بالعمل

أثر الثقافة العربية في العلم والعالم

بقلم أحمد حسن الزيات

٢

فرغ العرب من رسالتهم الدينية بانتقضاء الفتح، ولم يكد الأمر يستوثق لهم والنظام يستقر بهم وظلال الأمن ترف عليهم حتى أخذوا يلغون العالم رسالتهم العلية بذلك المزم الذي لا ينكل عن خطة ولا يقف دون غاية . وكان مهبط الوحي بتلك الرسالة بغداد لأنها البلد الأول الذي رُفِرَ عليه السلام وتدقق فيه الغنى واشتد به الخلاط وتجمعت لديه شتى الوسائل . ومن خير هذه الوسائل التي حققت هذا الشرف للعراق أن علماء الفسطاط الذين نفوا إليه من الممالك الرومانية الشرقية لأسباب دينية، كانوا قد أنشأوا في إديسة من بين النهرين مدرسة تنشر علوم اليونان والرومان، ولما أغلقها الإمبراطور زينون الأوزريالي لأسباب دينية أيضاً، لإدوا بأكتاف بني ساسان فلقومهم لقاء جبلا، وأقام لهم أنوشروان في جنديسابور مدرسة وصلت ما انقطع من تلك الحركة . وكان الإمبراطور جستنيان يومئذ قد فتح باب الجور على أساتذة المدارس الأفلطونية في أثينا والاسكندرية فألجأهم للجلاء والشرادف واعتصموا منه إلا بفارس . وأخذ هؤلاء وأولئك ينقلون إلى السريانية والكلدانية كتب أرسطو وسقراط وجالينوس وأقليدس وأرخميدس وبطليموس، فكان ما ترجموه من العلوم ومن خرجوه من العلماء نواة صالحة لهذه النهضة المباركة التي نهدها الخلائف الأولون من بني العباس . كان أول من تلقى وحي هذه الرسالة الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور فأنشأ المدارس للطب والشريعة واستقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور ونفرا من السريان والفرس والهنود فترجموا له كتباً في الطب والنجوم والأدب والمنطق . ثم حملها من بعده الرشيد ففتح فيها من روحه ونشرها في العالم بروحه وترجم في زمنه ما وجد من كتب الطب والكيمياء والفلك والجبر والنبات والحيوان . فلما تلقاها المأمون لم يبق من كتب العلوم والفنون والصناعة شيء في العبرانية واليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلا نقل إلى العربية . ولم يقف العرب عند الدرس في هذه المترجمات وإنما أقبل بعضهم على تحصيل

اليونانية واللاتينية ليرجعوا بهما إلى بعض تلك الأصول . وفي مكتبة الاسكوريال ما يثبت ذلك من قواميس عربية يونانية وأخرى عربية لاتينية قد ألفها العرب للعرب . ثم أقبل الناس في الشرق والغرب على هذه العلوم يعالجونها بالشرح والتحليل حتى اجتازوا سراعاً دور التلمذة والتقليد إلى دور الابتكار والتجديد، فهبوا يفشون المدارس ويقيمون المراصد ويحصدون المسائل ويؤلفون الرسائل ويؤسسون المكتاب، وقد جرى في ذلك إلى أبعد الغايات . ذكر (بنيامين دتودليه) أنه رأى في الاسكندرية عام ١١٧٣ م عشرين مدرسة . فما ظنكم ببغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وقد كان فيهن عدا العدد الوفير من مدارس الثقافة العامة جامعات للثقافة الخاصة وما يقبها من وسائل البحث كالمعامل والمراصد والمكتاب؛ وانكم لتكبرون ما بذله العرب من الجهود الجبارة في سبيل المدنية والعلم إذا قستموه بما خلقوه من البحوث وما ألفوه من الكتب . فقد تناولوا أصول المعارف الإنسانية بالنقضي الدقيق والعرض العميق حتى فرعوها إلى ثلاثمائة علم أحصاها طاشكبرى زاده في كتابه مفتاح السعادة . ثم استزفوا الأيام في معاناة التأليف على صعوبة النسخ وكثرة المؤونة وقلة الجدوى . فتركوا للعالم ذلك التراث الضخم الذي اشتملت عليه مكاتيبهم في الشرق والغرب . فقد ذكر (جيون) في كتابه عن الدولة الرومانية أنه كان في طرابلس على عهد الفاطميين مكتبة تحوي ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الفرنج سنة ٥٥٢ هـ . وقال المقرئ أنه كان في خزنة العزيز بالله الفاطمي مليون وستمائة ألف مجلد نزل بها منازل بمصر من الاحداث فأغرقت في النيل أو ألقيت في الصحراء تسنى عليها الريح حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب . وروى المقرئ أنه كان بخزانة الحكم الثاني بقرطبة أربعمائة ألف مجلد فيها أربعة وأربعون للفهرس، وأبلغها الأستاذ جوستاف لوبون إلى ستمائة ألف . ولاحظ بهذه المناسبة أن شارل الحكيم الذي اعتلى عرش فرنسا سنة ١٣٦٤ أي بعد خلافة الحكم بأربعمائة سنة، لم يستطع أن يجمع في المكتبة الأهلية ياريس حين أسسها إلا تسعمائة مجلد كتب تلتها في علوم الدين . فاهيكم بالثمانين ألف مجلد التي دمرها (كيمينيس) في ساحات غرناطة وبما أحرقه التار في بخارى وسمرقند وأغرقه هلاكو ببغداد عاصمة العلم والعالم في ذلك العهد ايلوح لي أنه ليس في ذلك كثير من المبالغة، فإن في المؤلفين من تبلغ تصانيفه بضع مئات، وإن في المؤلفات ما يقع في عشرات

المجلدات، فلا في عبيدة مائتا كتاب، وللكندي واحد وثلاثون ومائتان، وللرازي مائتان، ولابن حزم أربع مائة، وللقاضى الفاضل مائة. وجاء في نفح الطيب أن مؤلفات عبد الملك بن حبيب عالم الاندلس قد بلغت الالف. على أن توالي الفتن والمحن على العالم الاسلامي لم يبق للعصر الحديث من هذا الكنز المذخور والمجد المسطور الا ثلاثين ألفاً وزعت على مكاتب العالم يزعم بعض المنصفين من العلماء الأوربيين أن العرب إنما كانوا في العلم حيلة على اليونان ونقله عنهم، فليس لهم اصالة فكرية ولا عقلية فلسفية، ولو لم يكن للعرب على زعمهم من الاثر الا أنهم انقلدوا هذه الكتب من عدوان الارضة، وحفظوا تلك العلوم من طغيان الجهالة، حتى أدوها صحيحة نقية الى العصور الحديثة لكان لهم بذلك وحده الفخر على الدهر والفضل على الحضارة. فكيف والواقع غير ما يدعون بشهادة المنصفين منهم؟ فإن ملايين الكتب التي دمرتها بربرية اسلافهم في الغرب، واشباه اسلافهم في الشرق، لم يكن ما نقل منها عن خوالي الامم الا بضع مئات كانت أساساً لبناء باذخ ضخم شاده العرب، وتواة لدوحة باسقة ظليلة رواها وغذاها الاسلام. فالطب قد أخذوا أصوله عن ابقراط وجالينوس وبعض السريان والهنود، ولكنهم نقوا هذه الاصول من الشعوذة. ورقوها بالترتيب، ونحوها بالتجربة، وانقلدوا مذاهب القدماء في تحليل بعض الادواء، واستحدثوا في التشخيص والعلاج نظريات وعمليات ووسائل أطبق الباحثون على أنها لم تعرف من قبلهم، ولم تنسب الى غيرهم، ككشفهم علاج اليرقان والحمية. واخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب في القالج والحمى والقوة على غير ما ألف الأقدمون. فعل ذلك صاعد بن بشر بغداد فنجح تديره فاقتهى به سائر الاطباء بعده. وهم أول من استعمل المرقد في الطب، والكاويات في الجراحة. وصب الماء البارد لقطع النزيف. وقد فطنوا الى عملية تفتيت الحصى، وعين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى المعروف عند الفرنج (بالبوكراس) موضع البضع لاخراجها، وهو ما عتبه متأخرو الجراحين من الفرنج. وابو القاسم هذا هو الذى قال فيه الاستاذ هالير: «إن كتبه كانت المنهل العام الذى نهل منه جميع الجراحين بعد القرن الرابع عشر، وابو بكر محمد بن زكريا الرازي أول من كتب في أمراض الاطفال، وألف في الجندي والحصبة، واستعمل الكحول والحجامة في القالج. والرئيس

ابو علي بن سينا أمير الاطباء وجالينوس العرب كما يلقيه الفرنج وضع كتابه القانون فكان شريعة الطب في العالم زهاء ستة قرون. وكان عمدة التدريس في جامعات فرنسا وايطاليا ولم ينقطع تدريسه من جامعة مونبيه إلا أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعرض فيه بالتفصيل الدقيق الى علم الصحة وقرر نظرية (المهجين) الرياضى وهي نظرية كان المظنون أنها من ثمرات العلم الحديث. ومن الاقوال الماثورة ان الطب كان معدوماً فأجاء جالينوس، وكان متفرقاً لجمعه، الرازي وكان ناقصاً فأكمل ابن سينا. واذا مضينا نذكر أمثلة بما جدد سائر الاطباء العرب كابن زهر وابن رشد وابن باجة وابن طفيل استبحر القول والثبات علينا بتحديثه وحصره. وفي كتاب طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطى وتاريخ الطب العربى للكثير ما ينفع غلة المستزيد. وللغرب القدم الأولى واليد الطولى فى الصيدلة والكيمياء والنبات، وهى في رأيهم شعب من علم الطب أو لواحق به. فهم واضعو أصول الصيدلة وأول من ملأ من تحضير العقاقير واستنباط الادوية. كذلك هم أول من ألف في الاقرباذين على هذا النمط، وأقام حوائط الصيدلة على هذا الوضع. وظل العرب معتمدين في المارستانات والصيدليات على اقرباذين وضعه سابور بن سهل في منتصف القرن الثالث من الهجرة حتى نسخها اقرباذين ابن التليذ المتوفى سنة ٥٦٠ بغداد. ولا تزال أسماء العقاقير التى أخذها الفرنج عن الشرق في كتبهم على وضعها العربى المرتجل أو المنقول. ولا نزاع اليوم فى أن علم الكيمياء الصحيح إنما يؤرخ وجوده بجهود العرب فيه. فأنهم فى سيل العثور على الاكبر أو انكاره هُدوا الى عمليات أساسية ومركبات كيميائية كان لها الأثر الظاهر فى تأسيس هذا العلم. والفرنج يعترفون للعرب بأنهم عرفوا التقطير والترشيح والتصفيد والتدبيب والتبور والتكليس، وإن جابر بن حيان وأحلافه قد استنبطوا طائفة من الاحماض التى تسعمل اليوم. كذلك برع العرب فى علم النبات وبخاصة ما يتصل منه بالطب، فقد استفادوا مما كتبه ديسقوريدس وزادوا عليه ما وقفوا اليه من شتى الانواع ومختلف الشكول. والعلماء لسان واحد فى أنه لم يأت بين ديسقوريدس اليونانى ولينييه السويدي المتوفى سنة ١٧٠٧ أطول باعاً ولا أوسع اطلاعاً فى هذا العلم من ابن البيطار الماتى. فانه درس كتاب ديسقوريدس ثم رحل الى بلاد اليونان وأقصى ديار الروم فحقق أنواع النبات

بنفسه، واتصل ببعض من يعاون ذلك فاستعان بفهمهم على فهمه، وأضاف عليهم إلى علمه، ثم عبر إلى المغرب فقام بمثل ذلك، وطلب من أئمة الشعب في مصر والشام فدرسها حق الدراسة ثم وضع بعد طول الدرس وسعة الخبرة كتابه الموسوم بجامع مفردات الأدوية والأغذية فكان أجمع الكتب في فقهه، ومرجع الأوربيين في موضوعه. ولا يقل عن ابن الهيثم في التفوق والفضل معاصره ومؤازره رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ قد بلغ من اتقانه أنه كان يخرج إلى الأودية والقلوات في درس النباتات ومعه مصور قد استكمل آله وأصابعه، فيشاهد النبات ويحققه ويريه المصور في أبان نباته وفي وقت كاله ثم في حال ذراه وببسه، فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ثم يصوره في كل طور من أطواره بالدقة. وذلك غاية ما بلغت الأمانة العلمية اليوم من الكمال. أما أثر العرب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية فحسبنا أن نشير إلى أنهم أول من نقل الأرقام الهندية إلى أوروبا، وأول من استعمل الصفر في معناه المعروف، وإن كلمة الجورني اللاتينية مشتقة من اسم الخوارزمي محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ وإن الجبر باسمه العربي يكاد يكون علما عربيا بعد أن وضع الخوارزمي كتابه في الجبر والمقابلة. وقد قال (كاجوري) في كتابه تاريخ الرياضيات: «إن العقل ليملكه الدهش حينما يقف على أعمال العرب في الجبر»، وفي مادة المثلثات من دائرة المعارف البريطانية أن العرب أول من أدخل المماس في عداد النسب المثلثة، وهم الذين استبدلوا الجيوب بالأوتار وطبقوا الجبر على الهندسة وحلوا المعادلات التكعيبية. وفي الفيزياء ما علم الطبيعة كشفوا قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائتها، وبحوثا في الجاذبية وقالوا بها. وكان أبو الحسن علي بن إسحاق الجوهري أول من وضع مبادئ الضوء وأوضح أسباب انعكاسه عن النجوم، وأصلح الخطأ الشائع يومئذ من أن الأشعة تنشأ في العين ثم تمتد إلى المراتب. وتشهد دائرة المعارف البريطانية في مادة الضوء أن بحوث العرب فيه هدت العلماء إلى اختراع المنظار. وفضل العرب على الفلك من البيانات المسلمة، فقد رصدوا الأفلak وألفوا الأزياج وابتكروا آلات الرصد وصنحوا أغلاط اليونان والهند وحسبوا الكسوف والخسوف ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي وقالوا باستدارة الأرض ودورانها على محورها. وذكر (سكوت) في كتابه المملكة الاندلسية أن عالما من طليطلة رصد أربعة عشر رعدا ونيفا ليحقق أبعد نقطة

في الشمس عن الأرض ولم يختلف حسابه في ذلك عن أدق المباحث الحديثة البحري. من الثانية. ويقول (كاجوري) إن اكتشاف بعض الخلل في حركة القمر يرجع إلى ابن الوفاء الفلكي الزجاجاني لا إلى تيخوزراهي. وقد عد لالاند الفلكي الفرنسي الثاني في العشرين فلكيا المشهورين في العالم كله ولا تزال طائفة الاصطلاحات العربية في الفلك مستعملة في كتب الفرج كالسمت والظير والمناخ والمقنطر والسموت فضلا عن أسماء النجوم والعرب منها لا يقل عن النصف. وأما أثرهم في الفلسفة المدرسية فإن الكندي والفارابي وابن سينا في الشرق، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد في الغرب، قد توفروا على فلسفة اليونان بالدرس والشرح والتبصير حتى جددوا دارسها وجلوا طامسها وكمّلوا ناقصها ووسموا بسمة الحرية والعقيدة والنضوج. ولقد أثار ابن سينا بفكره الحر المنظم، وعقله القوي المنطقي، مسائل من العلم تشغل أذهان الباحثين اليوم. ووضع ابن طفيل قصته الفلسفية (حي بن يقظان) فأبان عن قوة تادرة في التفكير، وموهبة عجيبة في التصوير، واستيعاب منتج للأفلاطونية الحديثة. وقد نقل هذه القصة إلى اللاتينية (إدوار بوكوك) سنة ١٦٧١ هـ فظهر أثرها سريعا في قصة (روبنسون كروزوي). وشهد رينان لابن رشد في كتابه عنه «أنه أعظم فلاسفة القرون الوسطى ممن تبع أرسطو ونهج سبيل الحرية في الفكر والقول، ودخلت العالم المسيحي فلسفة ابن رشد وفلسفة أرسطو فكان الاعتراض عليهما شديدا والاعجاب بهما أشد. وكان اللاهوتيون في القرون الوسطى يعجبون بابن رشد وسعة علمه ودقة فهمه ونفاذ بصيرته ولكنهم كانوا يخشون أثر رأيه الجري في العقائد. وتجدون (دانت) في الملهة القدسية قد جعل ابن رشد وابن سينا في المقام الذي جعل فيه عباقر الرجال من جهنم. تلك يأسادني إشارات مبهمة بجملة إلى جهود العرب في العلم وآثارهم في الفكر تجدون بيانها وتفصيلها في تاريخ هذه العلوم، عرضتها بهذا الإجمال على سبيل المثال لنقول لأصحاب ذلك الرأي الظنين الآفين أن التجديد في العلم يستلزم الاستقصاء البالغ والتفكير التام والفكر المستقل، وإن العرب كما قال البارون (كارادنو) لم يكونوا نقلة للعلوم غيب. ولكنهم بذلوا الجهد في إصلاحها وتحقيقها، وأفرغوا الوعاء في بسطها وتطبيقها، حتى أدوا أمانتها إلى العصر الحديث.

«يتبع...»

فلسفة شوبنهاور

للاستاذ زكي نجيب محمود

عصره :

سادت في أوروبا روح الشاؤم في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتملك النفوس يأس قاتل ، وارتفعت بذلك أصوات الشعراء والفلاسفة في كل ناحية من نواحي القارة : بيرون في إنجلترا ، ودي موسيه في فرنسا ، وهيبى وشوبنهاور في ألمانيا .

ولقد يقف المرء أمام هذه الظاهرة العجيبة وقفة لا تطول كثيراً حتى يجد أسباب ذلك في طبيعة ذلك العصر وظروفه التاريخية . فقد انفجرت الثورة في فرنسا ودوت في أرجاء أوروبا دويّاً اعترت من هوله عروش ، وكان لصوتها صدى في كل الصدور وأثر عميق في كل النفوس ، فن أشراف ناقلين ساخطين ، إلى زراع يهللون لها ويكبرون . ثم ماتت واقعة وترلو فحقت ذلك الصوت الدواوي ، وعمرل نابليون على صخرة سفت هيلانة الصامتة الموحشة في عرض المحيط ، وعاد (البوربون) إلى ملكهم في فرنسا ، وعاد في ذيلهم أشراف الانقطاع يطالبون بأملأهم ، وانتشرت في أوروبا حركة رجعية تعمل على طمس معالم الثورة والتجديد .

كم من ملايين الشباب ذهقت نفوسهم حباً ، وكم من عامر الأرض بات خراباً بلقماً ... فكبت لا ترى على وجه أوروبا إلا آثاراً خربة وأنقاضاً هنا وهناك ، ذلك لأن الجيوش النابليوية الجاررة من ناحية ، وأعداءها من ناحية أخرى ، أخذت تروح ونجى أكثر من عشرين سنة قضت فيها على الأخضر واليابس ، وخلقت الفرى والمدائن يتأجها مقر مدفع وبؤس شامل .

ماتت الثورة الفرنسية وكانها انتزعت معها روح الحياة من أوروبا ، لأن قلوب الشباب الطامع في كل بقعة من بقاعها كانت قد صفت إلى الجمهورية الناشئة وعاشت في ظلال الأمل الوارفة حيث أملت في مستقبل ذهبي سعيد ، فما هي إلا أن وقعت الواقعة في وترلو حتى تحطمت كل هذه الآمال وتبدلت بمأساة سبت هيلانة ومؤتمر فيبا ، فدمت في النفوس روح اليأس التي ملكت على الناس شعب الحياة ، وأثر ذلك في النزعة الدينية أثراً مختلفين : أما الطغمة المعيرة الجاهلة فقد التفتت إلى الدين تمجد في كنهه السلوى والعزاء ، وأما الطبقة المفكرة فطلعت على قلوبهم موجة إلحادية ، ولم تعد عقولهم تسع أن يكون ثمة مديراً أعلى لهذا الكون .

وأما فريق العقيدة والدين فقد اقتنع بأن هذه النكبات ليست إلا أدللاً للنفوس جزاء وفاقاً بما زرعت اليه من الاعتزاز بحكم العقل ونبد العقائد وراء الظهور . وأما فريق الإلحاد فقد ارتأى أن اضطراب أوروبا ينهض دليلاً قوياً على فوضى الحياة وعشها ، وعلى رأس هؤلاء بيرون وهيبى وشوبنهاور .

فلسفته :

١ - العالم فكرة

برى شوبنهاور أن الوساطة الوحيدة بين الإنسان والعالم الخارجي هي الحواس والمشاعر ، فأنت إذا رأيت شجرة انطبعت صورتها في دهنك وهذه الصورة إنما انتقلت عن طريق عدسة العين ، فقد تكون مطابقة لحقيقتها الخارجية وقد لا تكون ، وقل مثل ذلك في كل معلوماتك عن أجزاء الوجود ؛ فالصورة التي كورها دهنك عن هذه الدنيا هي فكرة خلقتها حواسك ولا يتحتم أن يكون لها حقيقة واقعة مطابقة لها . واذاً فالإنسان كما يقولون دياً نفسه ، وأن في الوجود من الدنى بمقدار ما فيه من عقول بشرية .

يخلص شوبنهاور من هذا بأن الواجب الأول هو دراسة العقل قبل البدء بدراسة المحسوسات ، لأن في دراسة العقل المفتاح الذي يصل به إلى حقائق الوجود الخارجي .

٢ - العالم ارادة

يكاد يجمع الفلاسفة على أن كنه العقل وجوهره هما الشعور والعكر ، إلا أن شوبنهاور يرفض ذلك رفضاً ، ويقول بأن الشعور إن هو إلا قشرة خارجية لعقولنا لا يعرف على وجه الدقة ما تحويه في باطنها ، وهذا العلاف المفكر يخفى وراءه ارادة لا شعورية ؛ لا يحمدها نشاط ؛ ولا تنهى لها رغبات وآمال ، وهي التي تملك زمام الإنسان في كل حركاته وأعماله ، أما هذا المطلق الذي تحتكم اليه في كثير من شئوننا ، والذي يجبل اليأس أنه نابع من العقل الواعي ، هو في الواقع ملهم بهذه الارادة الناطية ؛ فمن لا يريد الشيء لأن هناك من الأسباب المطلقية ما يدفعنا إلى ذلك ، ولكننا نحقق الأسباب خلفاً إذا كنا نريده ارادة لا شعورية . فالأسباب نتيجة لا مقدمة !! بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا الزعم معقول : إما أن نحقق الفلسفات ومنتدع الديانات لحنى في طيات رعاتنا الحمية .

ابحث في كل نواحي النشاط الإنساني ، تجد دوافعه مشتقة من الارادة اللاشعورية ، لا من العقل والشعور . وهذا التافس والتأخر

على أسباب العيش من طعام ولذات ، انما يجع من ارادة الحياة ، التي يطنها كل كائن في طوايا نفسه ، حتى شخصية المرد لا تكون من أعماله العقلية ولكن من نزواته اللاشعورية التي تندفع اليها بأرادته الخفية ؛ ومن هنا كانت المديانات على اختلافها تعد الجنة للارادة الطاهرة (أى القلوب) ولكها لا تعرف بالعمول الكبيرة ولا تحب لها في جانبها حسنا

وليست سيطرة الارادة مقصورة على الحياة الفكرية ، بل تمتد لها الى الدائرة الفسيولوجية فأرادة الحياة خلقت أوعية تجري فيها الدم وأرادة المعرفة خلقت عينا يصل الى شتى المعارف ، وأرادة القبح على الأشياء خلقت الأيدي ، وهكذا نشأ كل عضو بعد نشو . ارادة وطبقة ، فحركات الجسم في الواقع لارادات مجسة بل الجسم كله إرادة متلوقة ،

إذن فالارادة ، لا العقل ، هي كنه الانسان بل كنه الكائنات الحية جميعا ، هذه الارادة التي تتحدث عنها هي ارادة الحياة ، وليس الحياة أيا كان لونها ، ولكن ارادة الحياة الكاملة .

وليست هذه الارادة مقسة بين الأفراد ، أعني ليس لكل فرد ارادته المستقلة تصب به كيف شاءت ، ولكها ارادة واحدة تتناول الحياة بأسرها كتلة واحدة وشيئا لا يقبل التجزئة ، فالعرد ليس حقيقة في ذاته ولكنه ظاهرة لحقيقة ، هو جزء من كل مناسك ، ومحتوم عليه بحكم ارادته أن يسير في طريق مرسوم حتى لا يضطرب نظام ذلك الكل المتحد . ومن هنا نشأت الرغبة التناسل مثلا فهي ليست رغبة فردية ، ولكنها رغبة الحياة بأسرها وهي وحدة التي تسخر الأفراد لصالحها بل إن هؤلاء الأفراد هم الصورة المحيطة التي تظهر فيها ارادة الحياة .

يقول سينوزا : لو أن حبرا ألقى في الهواء وكان لديه شعور وإدراك لظن انه انما يتحرك بمحض ارادته المحرقة انه هو الذي يختار الزمان والمكان اللذين يقع فيهما . وما أذهبه الانسان في حياته ذلك الحجر الملقى : كلاهما تدفعه قوة خارجية وكلاهما يتوهم أنه حر . لا سلطان على ارادته .

نعم ، ارادة الحياة في عمومها حرة التصرف لأنه ليس هناك ارادة تحد تصرفها ، ولكن كل قالب من قوالب الحياة ، أي كل جسد مادي يتب فيه جزء من الحياة ، محدود ولا ريب بتلك الارادة الكلية سواء أكان ذلك القالب الحي نوعا أم فردا أم عضوا من فرد .

٣ — العالم شر

مادامت الارادة أساس الحياة ، فالحياة شر كلها . ذلك لأن

الارادة مبعث لسلطة من الرغبات لا تنقطع من الرغبة عادة تمتد الى أكثر مما يستطيع الانسان تحقبه : وهكذا يظل الانسان مدفوعا في حياته بآلاف الدوافع من الآمال التي ان تحقق بعضها فمعظمها حائب فاشل ، وهو أمام هذا الفشل الذي يعمره في كل خطوة يحطوها يستحيل عليه أن يتذوق في حياته سعادة مطلقة . ثم هو لا مخلص له من هذه الرغبات التي يسوق بعضها لعضا ، لأن جوهر الانسان ارادة كايما ، فإذا هو تخلص من ارادته فقد تخلص من نفسه ولا بد لهذه الارادة أن تعيش وتتحدى . وهذه المطامع المستمرة في حياة المرد هي الوقود الذي تحلقه الارادة لنفسها .

والحياة كلها شر كذلك ، مادامت الآلام هي طبيعة مادتها التي تكون منها ، وليست السعادة إلا حالة سلبية يقف فيها تيار الآلام . وبما اصطالحنا على تسميته بالسعادة انما هي الحالة التي يعدم فيها وجود الألم ، أعني أن ليس ثمة سعادة ايجابية . وقد أشار أرسطو الى هذه الحقيقة بقوله ان الحكم لا يجوز له أن يبحث عن السعادة . بل يجب عليه أن يسعى وراء التخلص من آلامه .

وفوق هذا كله ، فالحياة شر كلها لأنها عراك دائم ، فأبنا سرت صادفت تاحرا وتافا وجهادا ، فكل نوع يتأكل في سبيل المادة والزمان والمكان .

نعم لا ريب في أن الحياة قاسية مؤلمة ، وليس بمجرب شوي بنهور إلا من متفائل يتسم لهذا العالم ويقول لو أن أشد الناس تفاؤلا طاف بالمستشفيات والنجون وساحات الحروب يشهد ألوان الألم والعذاب ، ولو أنه رأى البؤس الذي يتوارى خبيلا في أركان الأكوام المظلمة . نعم لو أبصر هذا وذاك وما هو شر من ذلك جميعا ، لا تقلب متشاظما يؤوس على النور . وإلا فحدثني بربك من أين اشتق ذاتي صورة جميعه إلا من هذا العالم الذي نعيش فيه ؛ ومع ذلك فقد كونها صورة ما أهولها من صورة الألم اظفر كيف اصطلم بمشكلة سقطت أمامها عبقرية عجزا واعيا . عندما أراد أن يصور جنة سعيدة ، لأنه التمس من الحياة اجزاء الصورة التي يريد فنز عليه المثال ١١ .

٤ — العسفة

رأينا كم يدفع المرء من الشقاء ثمنا باعطا لأهاسة ١ وعلمنا أن الحياة بما تحوى من شر تجارة خاسرة لا تساوى ثمنها ١١ .

ولكن ألا نستطيع أن نرسم طريقا للسعادة ؟ ذلك ميسور اذا تغلب جانب العقل والمعرفة على جانب الارادة والرغبة من الإنسان . فأنت عاجز عن ادراك السعادة اذا تملكك الارادة منك (البقية على صفحة ١٥)

لماذا ترجمت فرتر

• إلى القاصدين الذين سألني هذا السؤال وهو طلق الحرية
في بغداد فأجبت عليه وهو سجين الاعتداء في كركوك.

تسألني لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال
حديث ، والحديث غداً سيكون قصة ، وليس بغيرك اليوم
مها إلا ما نجم عنها :

قال (جوت) يوماً لصديقه (اكيرمان) : « كل امرئ
أتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) إنما كتبه خاصة ،
وأما سنة ١٩١٩ كما أثار هذا الجراح الشاب طرير حصرة
الحياة والانتفاض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في
دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده ... واحسان
مشرب يتوقد شعوراً باحمال ، وقلب رعب يتحرق ظمأ
إلى الحب ، وتوازع طماحة ما تمك تجيش ، وعواطف
سبالة ماتكاد تناسك ... فالطبيعة في حبال شعر ،
وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ... وكان
ينهي لكل شيء وحكمي على كل شخص بصدران عن منطق
أفسد أقيمت الخيال ، وزور نتاجه المثل الأعلى . ثم غمر هذه
الحال التي وصفت هوى دخيل هادى ، ولكنه مبلح ، فسبحت
منه في فيض سباري من الشوة واللذة . وأحست أن
وجودي الحال قد امتلأ ، وقلبي الصادي قد ارتوى ، وحسى
العائر قد سكر . وتخيلت أن حياتي الحائرة قد أخذت تير
في طريق لا يحب تنتثر على مدارجه نواضر الورود ، وترف
على جوانبه بواهب الريحان ، وتزهو على جوانبه الوان عبقري ،
وترقص على حفايفه عرائس الحور ... ورحت أسلك هذا
الطريق السحري محملاً على جناح الهوى كائن (فوست) على
حاجي (ميستوفالس) حتى ذكرني الرمان العاقل فأقام فيه
عقة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ،
والعاطفة بالمنفعة !! على اني بقيت على رغم الصدمة حياً
ولا بد للحى أن سر ... »

تطلعت وراء العقة انظر الطريق فإذا الأرض قعر
والورد عوسج والريحان حمض ، والمرائس وحوش .
فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرقيق المزنس ... ولكن أين

أشدما أبغى وحولي من الفراغ تطلق مخيف ، وأمامي على أسنة
الصخور أشلاء وجثث !! هذه أشباح صرعى الهوى تترامى
لعيني ، وهذه أرواح قتلاه تنهافت على ، وهذه سجلات مصارعهم
من بدى . فلم لأحدوا بأناشيدهم رواحلي ، وأقطع مناجاتهم
مراحلي ، وألتبس في مواجهتهم لهواي عزاء وسلوة ؟؟
قرأت هيلوز الجديدة ، ووريفيه ، واتالا ، وأودلف ،
ودومينيك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات
الكيليا ، وجرازيل ، ورفائيل ، وجان دكريف ،
وتوثقت بأشخاصها صلاتي ، وتصعدت في زفراتهم زفرائي ،
وتمتلك في نهايتهم المحزنة نهايتي . ولكهم كانوا جميعاً غيري
تمتق في الموضوع ولكن فترق في الوصف ، كالنساء
التوابع في مباحة ، تدب كل واحدة من فقيدها وموضوع
الأسى للجميع واحد هو الموت !!

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحا غير ذلك النواح ، ورأيت
روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال !!
كنت أقرأ ولا أرى في الحادثة سواي ، وأشعر ولا أشعر
إلا بهواي ، وأندب ولا أندب إلا بلواي ، فبل كنت أقرأ
في خيالي أم أنظر في قلبي ، أم هو الصدق في نقل الشعور والحنق
في تصوير العاطفة يظهر أن قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟؟
كما يومئذ في مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان
والألحان والطر ، ونفسي تحاول أن تعلن عن هواها بالدموع
والشعر ، فألامي تجيش في عيني ، وعواطفني تنزني على لساني ،
وبلايلي تنوب في خاطري ، وكلها تطلب السبيل إلى العلانية ،
— والشكوى في الحب كالطمع في الحى كلاهما عرض ملازم —
فلما قرأت (فرتر) تنفس جواي المكظوم ، واستعني عن
البيان هواي المكتوم ، لأنني لو كنت صبت مبهجتي على
قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب
في كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوي العاطفة يتقسم الخيال
والأيديال ، نواحي نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع صلي
الفكر يعرف دائماً كيف يجر النار إلى قرصه ، وامرأة بينهما
يجذبها إلى الأول طمعها الغزلي وقلها الشاعر ، ويربطها بالثاني
عقلها الملدى ووعداها المأخوذ ... هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عينه موضوع آلامى . . . فلم لا أنقله إذن إلى لتي
ليطلق عن لساني . كما ترجم صادقاً عن ضميري ؟؟

كنت في (جوت) وقادني إلهامه وروحه . وأهبتُ بلغة
القرآن والوحي أن تنسج لهذه الفحات القدسية فأستغنى
بديانها الذي يتجدد على الدهر ويرى على طول القرون . ثم
أصبح فرتر بعد ذلك لنفسى صلاة حب وثريد عزاء ورُفينة
هم !! كأنما كان (جوت) يادها من وراء الغيب حين يقول
في تقديمه لفرتر : « وأنت أبنا النفس . . . إذا أشجأك
ما أشجاء من غصة ألم وحرقة الجوى فاستمدى الصبر والعزاء
من آلامه . وتلبس البرء والشفاء في أسقامه » . واتخذني هذا
الكتاب صاحباً وصديقاً إذا أنى عليك دهرك أو خطوك أن
يجدى من الأصدقاء من هو أقرب إليك وأحنى عليك ؟؟
١ . الزيات

فلسفة شوبنهاور

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الزمام . وأنت عاجز عن حراك السعادة بالمال والجاه وهي على قاب
قوسين منك إذا أسلست قيادك إلى العقل واستطعت أن تصبط على
الارادة حتى تحصرها في حيز ضيق ويمنع شوبنهاور أن الاعار
لا يكون في احصاء العالم بأسره بقدر ما يكون في احصاء الارادة . . .
إذن فالفيلسوف وحده هو الذي يستطيع أن يتغلب على شقاء
الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المعبدة بالارادة . وإذا استطاع
العكر أن يتخلص من قوة الرعب والهوى أمكه أن يرى الأشياء
على حقيقتها المجردة .

فالفلسفة هي عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هي انكار
الدات عند النظر إلى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق في ذاتها دون
أن تربطها بالحياة البشرية .

٥ - نفس

نحن ادن نشد تحرير المعرفة من استماد الارادة . نشد انكار
شخص لهه عد بطرد للأشياء . وليس هذا المنشود الا الصرفي
أصبح معناه فالصان المفرى يحاول أن يرى الأشياء من وجهة
صواب العامة ولاعماً كثيراً بالأشباح المادية التي تمثل تلك الصواب

فموضوع الفن هو تجسيد الكل العام في جزئي من الجزئيات والصورة
الغنية يجب أن تكون المثل الأعلى للشيء المصور . ومعنى ذلك أن
صورة الفترة مثلا لكي تكون من آيات الفن الرفيع . يجب أن
يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات . كأن
نوع الفترة كله قد تركز في هذه الفترة الواحدة . وصور الأشخاص
يجب أن تقصد لا إلى الدقة التوقراطية . بل إلى عرض كل ما يمكن
عرضه من صفات الانسان عامة في ملامح الشخص المصور . إذ
الواقع أن الفنان يصور صفات . وليس الأجسام الا وسائل فقط
لا يراى تلك الصفات .

ولنوجز هذا في عبارة أخرى : نقول أن الصورة الفنية شيء ما
يجب أن تكون عبارة عن . المثل الافلاطوني . لذلك الشيء . .
ونقدر ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالي تكون فيها الغنية
طهرنا بجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير إنما يصدر عن
أمن الأشياء في حقيقتها الواقعة دون أن يمتزج ذلك التأمل بوجهة
النظر الشخصية . سواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من
قصر منيف أو من كوة في سجن مظلم .

فالمن يحو يؤس الحياة وعلمها بأن يعرض علينا صورةا خالدة
من وراء هذه الصور الفردية الرائعة .

٦ - الدين

وإذا كانت الفلسفة وسيلة لانقاء شرور الحياة بما تعطيه
من اخضاع الشهوة لحكم العقل . وإذا كان الفن عاملاً من عوامل
السعادة لأنه لا ييبأ بالأشباح المادية التي تتحرك أمامنا وإنما يعنى
بحقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدي إلى سعادة
النفس وطناً نيتها لأنه بدور عباره عن اخضاع الارادة للحكمة
العقل . فالصيام الذي تخرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب
النفس على قهر ارادتها او شهوتها .

٧ - حكمة الموت

وبعد . فما أعجب أن تكون الحياة كما هي شروراً وآلاماً . ومع
ذلك نجد لها من ألسنا عوما على الانتشار والديورع !! يصبح
شوبنهاور . أعلى صوته إن الحياة سوء وشر ويجب أن نقضى عليها
هضاء مرما . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء
هجرا جنسياً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من فتنه واغراء .
وهو يقال : إلى متى تدفننا الحياة أمامها دفع الخرافة وهي لا تعوى الا
شقاوعاء ؟ متى نتجمع كل ما يملك من قوة وشجاعة لنفسي في وجهها
إن الحياة كدوية تخدعنا أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت !!
ذكي نجيب محمود

كسوف حلقى للشمس

يُقع في يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣

للأستاذ عبد الحميد سماحه

، معتنى مرشد حلوان ،

، ان القصر وتظهر آثار من آيات الله لا يمكن ان تكون اعم ولا اعم .
، حدثت نمر .

حسبنا ان يكون في ذلك دليل مفهم للذين يقولون القول
وينسبون الى الكواكب سعادة قوم وشقاء آخرين ، وهي بريئة
من هذا وذاك . ولكن انى لنا ان نضعهم وفريق يتخذها
وسيلة للكسب ، وفريق آخر يتخذها رجاء وسلوة .

لقد انقضى ذلك العهد الذى حسب الناس فيه ان بين الكواكب
وبين الافراد والشعوب في سعادتهم أو شقوتهم وانتصارهم
أو هزيمتهم ارتباطاً . وتقدمت الدراسات الفلكية في القرنين
الماضيين تقدماً عظيماً ، وأصبح في استطاعة الفلكيين ان
يقيسوا درجة حرارة النجوم كما يقيس الطبيب درجة حرارة
المريض ، واستبانوا أبعادها وأحجامها وأوزانها وتركيبها .

ولم تعد الظواهر الفلكية منفردة بالحروب والبلاء ، أو
مشرقة بالسعادة والرخاء ، بل أصبحت تجربة علمية كبيرة تجربها
الطبيعة فيستغلها العلماء الى أقصى حد فيما لا يتيسر لهم تجربته
على ظهر الأرض . فهاك مثلاً كثافة السديم نراها أدنى
مليون مرة من كثافة أية مادة تصل اليها أيدينا بينما هي في
بعض النجوم أعلى بمقدار مليون مرة من كثافة أية مادة على
الأرض ! فليت شعري كيف يتسنى لنا ان نعرف طبيعة المادة
من التجارب التي نجريها في المعمل ولا يزيد مدى كثافة المواد
التي بين أيدينا على واحد في مليون المليون من المدى الكلى
لكثافة المادة في الطبيعة ؟؟

لقد أصبح من الصعب إيجاد الحد الفاصل بين أنواع
العلوم الطبيعية ؛ وتقدمت الاكتشافات العلمية وهي سلسلة
الحلقات ، فن الكترولونات أنظارها كسور من ملايين

الملايين من البوصة ، الى سدائهم تقاس بمئات الآلاف من
ملايين الملايين من الأميال ! فكل زيادة في معلوماتنا الفلكية
تزيد حتماً في معلوماتنا في الطعمة والكيمياء والعكس بالعكس .

لهذا كان اهتمام العلماء بالطواهر الملكية عظيماً ، فهم
يستغلونها في أبحاثهم ، ويفسرون عليها نظرياتهم ، وكثيراً ما كانت
الأرصاء الملكية سبباً لاكتشافات عظيمة كان للبشرية منها
نفع مادي جليل الشأن . مثال ذلك ان غاز الهليوم اكتشف
أولاً في تحليل طيف للشمس أثناء كسوفها في عام ١٨٦٨ . وهذا
الغاز كما نعلم عظيم المنفعة لانه الغاز الوحيد الصالح للملح . الماطيد .
ونحن إنما نذكر هذا الحادث العظيم على سبيل المثال للذين يزنون
العلوم بمقدار ما يمكن أن ندر عليهم أو على البشرية من نفع مادي ؛
ولكن الغاية الأولى من الدراسات الفلكية هي البحث وراء
الحقائق العلمية وحدها ولذاتها ، وهي غاية تدافع عن نفسها بنفسها

لقد أصبح كل طالب يعرف ان الأرض ومثلها الكواكب
الباردة الثمانية الأخرى انما تدور حول الشمس في مدارات
دائرية ، وأن القمر يدور حول الأرض في مدار دائري أيضاً .
وأنة اذا توسط القمر بيننا وبين الشمس حجب أشعتها
عما فتكسف الشمس ؛ ولكن يجب أن نضيف هنا
أن مدار القمر حول الأرض يميل بمقدار خمس درجات
على مدار الأرض حول الشمس فالثلاثة لسن في مستو
واحد على الدوام ، ولو لا ذلك لحدث كسوف للشمس كلما
كان القمر في المحاق حيث يتوسط وقتئذ بين الأرض والشمس .

لقد حسب الفلكيون أن كسوفاً حلقياً للشمس سيُشاهد
في الفطر المصري في يوم الجمعة الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣
بتدئ في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٣ مساءً . وينتهي في الساعة
الخامسة والدقيقة ٢٩ مساءً من نفس اليوم .

أجل متكسف الشمس في ذلك اليوم . وبين هذين الرمين
المحددتين بالوسط لا محالة . ولكن لا سبيل في ذلك الى التعاؤل
ولا الى التشاؤم ، فليست الشمس والقمر والأجرام السماوية
المختلفة الأخرى إلا آيات يسات لأولى الأبواب ؟

عبد الحميد سماحه

في الأدب العربي

العوامل المؤثرة في الأدب

ليس الأدب إلا التعبير القوي الصادق عن مشاعر المرء وحواسره وأخيلته . وهذه تتأثر بأحوال الميئس وأنواع العقائد وأطوار المجتمع وأنظمة الملك وتقلبات السياسة . ومن المفيد الاطلاع بهذه العوامل المؤثرة في الأدب لتكون دستور المؤرخ وشريعة الأديب ونبراس الباحث فيما يصدر عن الإنسان من كد الأذهان وفيص القرائح فمن هذه العوامل (طبيعة الاقليم ومناخ البلد) وأثرهما في حياة الناس وسلائل الأجناس معلوم في بدائه العقول . فأحوال الاقليم هي التي تنبع لها كنه سنن معاشهم ونظام اجتماعهم . وتكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم . ومناظره هي التي تربي ذوق أبائهم ، وتنمذخي خيال كتبه وشعرائه ، فالشعر الجاهلي مثلاً صورة صادقة لطبيعة البادية وحياة البدو : فالعاطة خشنة كالجلجل . ومعانيه وحشية كالأرواءد . وأساليبه متشابهة كالصخر ، وأخيلته مجذبة كالقفر ، ولن نجد في غير الجزيرة العربية أمثال الشنفرى وتأبط شراً والسليك بن السليكة من هؤلاء الشعراء الصماليك الذين تبصروا بحياة البادية ومناظرها وأباعرها وغزلاتها وكتابها واطلاها وجبالها بشعر متين الحك صادق الوصف جاب اللفظ عنجهي الخيال . وقد اختلف الشعر في شبه الجزيرة نفسها باختلاف الأماكن : فهو في نجد عيره في الحجاز ، وهو في أهل الوبر غير في أهل المدر . ولهذا العامل وحده نمر بن قيس الأراجيز وهي أقدم الأطوار لشعر البادية حين ارتحل ناظموها من الصحارى المجردة إلى سواد العراق وديفنه ، وفي حواشي العراق وطلاله . وخالل نجد وجماله . احضر عود الشعر واستقام وزن القصيد ومن ثم قال القدماء ان امرأ البهيس ومهلل بن ربيعة وعمرو بن قيس هم أول من قال الشعر وأطال القصائد ، وما كانوا في الواقع إلا رعاة النخلة الأدبية في هذه البلاد .

وظل عامل الطبيعة يعمل عمله في الأدب خلال القرون خالف بين الشعر في عواصم الشرق وبينه في الأندلس . فقد وجد شعراء

العرب في أوروبا ما لم يجدوه في آسيا من الاحواء المتعبرة والمناظر المختلفة والامطار المتصلة والحال المؤثرة معيم السم . والمروح المطررة بألوان النور . فهدوا الشعر وتأقروا في العاطة ومعابه ، ونوعوا في أوزانه وقوافيه ، ودبحوه تديح الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر . وسلكوا به ملك التنوع والتجديد . وهذا العامل هو الذي يخالف اليوم بين الأدب في مصر وبينه في الشام والعراق . فالطبيعة المصرية نكاد أن تكون نائمة : فالجو معتدل في جميع الفصول لا يكاد يختلف . وحقول الوادي الحبيب لا تمرى من الزهور والرووح ، والسماء السافرة والصعراوان الوبسات لا نكاد مناظرهما تتغير . فادام تكن طبيعة بلادنا نائمة فهي على الأقل مسالة ، لا بها لا تزعجا بالزلازل العنيفة ، ولا تهزنا بالعواصف الرعى . ولا تخزنا بالبرد القارس والحر اللاصع . فطبت أهلها على الرودة والفكاهة والبشاشة والكل والمحافظة على القديم من المادات والأخلاق والآداب فلا تتطور هذه الأمور في مصر إلا بمقدار . ولذلك نجد شعرا منذ النبط جيد السبك بعلو التجدد هادى الأسلوب لين العطف لا يأخذ الأمور إلا بالملاينة والرفق . بينما نجد الشعر في الشام شديد الحركة كثير التورع سريع التجدد فلق الأساليب لتعدد المناظر واختلاف الصور وتقلب الطبيعة ونشاط الحياة . وهو في العراق قوى أبى ثائر ساخط متوثب منتشر على ألة الخامة والعامية لالتهاب الخيلة وتوقد الشعور وصفاء الحسن من افراط الطبيعة في الحر والبرد وغلة الحياة البدوية على كثرة السكان ،

على أن هذا العامل قد أحد بضعف منذ أواسط القرن الماضي لسهولة المواصلات وكثرة المخترعات وانتشار المدنية . فينتطيع الإنسان ان يعيش في آسيا وأفريقيا كما يعيش في أوروبا ، ويزداد صفاء في المستقبل دون أن يحمى ويبد .

ومنها (خصائص الجنس) ف شعر العرب يختلف عن شعر اليونان في المذهب والخيال والترض . وشعر ابن الرومي يختلف عن شعر ابن المعتز وقد نشأ في بلد واحد وعصر واحد . لأن الجنس الآري أميل إلى الاستقصاء والتفصيل والتحليل والتعمق ، والجنس السامي لكاه قلبه وحدة خاطره بفهم الشيء في لحظة ، ثم يلنحبه في لغة ،

فهو أميل إلى التعميم والاجمال والبساطة .

ومنها (دوام الحربين حسين أو أمتين لنفح بلاد أو صد عاد أو تحرير وطن) . فانت هذه الحروب تتمحور عادة عن أبطال ينمون في الخيال ، ويسطرون في الصور ، ويكبرون في الزمن ، حتى تنسب إليهم الخوارق . وتخلع عليهم المحامد ، قسیر نذكرهم الرواة ، وتحدث بأفعالهم القصاص . وتنقل شهرتهم من ثم إلى ثم ومن جيل إلى جيل ، وهي في حلال ذلك تسمع وتغير حتى تصح سيرهم لدى الشعب حديثاً وطنياً يجب أن يشر . وتراناً قومياً يحرص على أن يزيد . فيفيض الله لهذه السير المتجمعة على طول الدهور شاعراً مسح القريحة فينظمها بأسلوب شائق ونمط جميل ، كذلك دارت الالابدة الاغريقية على حروب اليونان لأهل طروادة . ومهابراته الهندية على الحرب التي نشبت بين يدهو وبني كزو ، والشاهامة الفارسية على تاريخ الاكاسرة ووصف الحرب التي اشتملت بين أهل ايران وأهل طوران ، وقد كانت تلك الحروب مفخرة الفرس الاولين ورمزاً للحلاف الدائم بين الهى الخير والشر . وكذلك دارت أغاني رولان الفرنسية على حروب الفرنج لفرع الأندلس . وهذا هو الشعر القصصى Epique أو الملاحم Epopée الذى خلا منه الشعر العربى لأسباب لا يتصل ذكرها بموضوع اليوم . على أن عامل الحروب قد أثر في الشعر العربى والشعر العامى وإن لم يؤثر في الشعر المصيح . فان نشوب الحروب الصليبية قد اقتضى تكوين بعض القصص الخرافية كفصة عذرة وسيرة بى هلال والأميرة ذات الحمة إثارة للنفوس وتحمياً للشعب وتفرجاً من الهم .

ومها - طبيعة العمران وتورع الثروة وما يتصل بذلك من حال الاجتماع - فان تقدم الحضارة ورخاء الميش ونماء الثروة تؤثر في الذوق ، وتزيد في الصور : وتساعد على نشر العلوم ، وتترع في معانى الشعر وأساليب الكتابة . وشاهد ذلك أن مدن الحجاز حينما زخرت بالمال ونبتت بالفراخ منذ خلافة عثمان إلى أواخر القرن الاول للهجرة تدفق أهلها في اللهو وعكفوا على العناء وألقوا أرومتهم في يد الصباية . وانقطع شعراؤها إلى المنزل فافتوا به وتصرفوا في معانيه وأغفلوا سائر أنواع الشعر الاخرى كعمر بن ابى زبيدة وجبل بن ميمر وكثير غيره . وشاهد آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية في الفنون الادبية هو شيوع البداء والفحش في شعر بعض البعديين على عهد الرشيد والمأمون . فقد حدث شيء من ذلك في الجاهلية وفي البصر الاموى حين كان الفرزدق وجنيد ومن لقب لصها يتجأوبون بالفحش ويتهاجون بالبداء . الا ان ذلك لم يكن مقصوداً

لذاته ، وإنما كان يقال هجاء للعدو وسباً للخصم . اما الفحش في شعر أبى نواس ومطيع بن اياس وحسين الضحاك وابن سكرة الهاشمى وابن الحجاج فقد كان صادراً عن خلق وناقلاً عن طبع ومعمراً عن حالة . فالشعراء يقولونه ويفعلونه ، وأهل البيوتات وذوو الخالة يسمعون ولا يكفون . فيما ذا نعلل ذلك العناد الذى مال الطباع العربية الحرة جعلها تتمنى الكرامة وتلقى شعار الحشمة ؟ ؟ اذا علناه بمعاهد الترف حين تطفئ الحضارة ويؤثر البطر كان هذا التعليل وحده غير فاضل ولا مقنع . فان أكثر أمم النسخ الحديث اليوم قد غرقوا في اللهو وشرقوا بالنعيم وامنعوا في الخلاعة ، ثم لا نجد التواضع من شعرائهم وكتابهم يجرأون على ان ينموا على أنفسهم بالمواحش أو يجهروا في كتبهم بالفضائح . وناهيك مما حدث لفكتور مر جريت حين نشر قصة لاجرسون انما الاشبه بالحق ان هناك سباً آخر يساعد هذا السبب وهو كثرة الرقيق . وتأثير الرقيق انما حدث من جهتين : اولاهما قيام العبيد على نزوة الاحداث في كرائم الاسر ، وفي كثرة العبيد دماء في الطباع ووقاحة في القول فافسدوا النش . وعردوم هجر القول وفحش الحديث ، وأخراهما اقحام الجوارى والسرارى خضور العقائل قاعدتين من أخلاقهن بالجمانة ، فسقطت المرأة من عين الرجل فاختلها بالعنف وضرب عليها الحجاب وأقام عليها الحصبة على عادة الفرس واقصاها عن تربية الولد وتدين البيت واتخذها للمناع والقدرة ، فكان من ذلك ان فشت في الخاصة اخلاق العبيد والاماء فتأدروا بالفحش زراً كثروا الشعر في الاحاض والمجون (١) وإليك شاهداً آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية والامور المادية في فنون الآداب : ظهر ادب العامة أو الشعر باللغة العامة في بغداد والاندلس في عصر واحد ، ففى بغداد ظهر المواليا على لسان صنائع البرامكة من العامة ، وظهر نوع آخر ذكره ابن الاثير صاحب المثل السائر قال : (بلعى ان قوماً بعدد من رعاى العامة يطوفون بالبل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر وإن لم يكن من بحر الشعر المنقولة عن العرب . وسمعت شيئاً منه فوجدت فيه معاني حبة مليحة وإن لم تكن الالفاظ التي صيغت بها صحيحة) ولكن الشعراء والادباء استخفوا به واحتفروه فلم يقلدوه ولم يدونوه

(النية على صفحة ٢٥)

(١) وهناك سبب ثالث لكثرة شعر المجون وهذا المعمر أن الشعراء ما كانوا يسمون أنصارهم قشراً كدأبنا اليوم وإنما كانوا يقولون في عالم الخاصة بتدنية الالفة ودونه المتوفرون فمرأهم كانوا بكثيرة المجهول فخرجوا من أكثر المنصور .

من طرائف السمر

تطور في الجهاد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

ما حياة قديمها غير باد لك ألا تطور في الجهاد
 انها تبني لها في نظام كل ما يقضي حاجتها من عتاد
 واذا ما الحاد رأت قواه دمب كلها الحياة بداد
 وهي ليست اذا نظرت اليها في جميع البقاع غير جهاد
 ولقد يهلك الذي يتوقى ولقد لا يعيش أهل الجهاد
 ولدتها الأرض الكريمة بكرا وسقتها السماء ذرا العهاد
 ليس منا الأجساد بالروح تحيا انما يحيا الروح بالأجساد
 انما الأرض وهي ما نحن نسمي فوقه بين رانح أو غاد
 كوكب مظلم يطوف من الشبه سر حثيا بكوكب وقاد
 كقراش يدور حول سراج واهج ما لزيته من نعاد
 وعلى وجهها نهار وليل فهي لا تستغنى عن الأضداد
 كل ما في الوجود فهو لعمري من نواويس الكون في الأصداد
 ولعل الرمان في دوره يح مع بين الآزال والآباد
 وكان الحجر هرا مديد وردته من النجوم صواد
 وكان الوحد فاص على الشظ ظن اذ تعب سبله في الوادى
 ويراه الحباشموسا ثغافا ل مع في لا نهاية الامداد
 وأحاطت بما هنالك أسرا ر لعني تجملت بسواد
 من شداد العموض فيها يحار ال عقل والعقل بعض تلك الشداد
 جل كون قد حُفَّت باللاتاهى عن شبه له وعن أنداد
 أترى أن ماله قدم في ال كون ذو حاجة الى إجماد
 عالم يختنق وآخر يبدو والذى يختنق عتاد البادى
 وفساد يحى من بعده كو ن وكون يحى بعد فساد
 ليس موت الآباء إلا ضيائا لحياة الأبناء والآحفاد
 أنا في جوهرى قديم على الأر ض وإن كان حادثا ميلادى
 أنا جزء من عالم ماله من آخر ينتهى به أو نقاد

ليست الأرض غير قبر موار لرفات الآباء والأجداد
 قل لمن طال في التراب كراهم هل لكم بقطة وراء الرقاد
 غير الدهر كل عضو يحسمى غير قلب في الحب لى هو ماد
 لم تكن منى الصباية في شى نحوختى غير حمرة في الرماد
 ولقد حافت في المصائب ترى من أناس عاشرتهم في ملادى
 ولين في حياته خالط اليا من كثيرا أحبة وأعاد

أى ذنب لى إن تباعدت الشفقة بين اعتقادهم واعتقادى
 كلما خالف الجماعة في الراى ي جرى ورموه بالالحاد
 ثلث منهم العيون ترى ما تيك الصدور من أحقاد
 عدنى ان أردت في سعداء قوم أو عدنى من الأنكاد
 اتى في جميع ما أما آت مكره ليس في يدى قيادى
 أما هذا ولست أفونى على تة بير ماى حلقى أو استعدادى
 أنا بالشعر وحده متسل انه كل طارفى وتلادى
 واذا واقفه المنية قبل فاحفروا حفرة له في فوادى
 واذا مت قبله فهو يرثى نى لو ظل حافظا لودادى
 أيها القاد المهن لشعري أنت ما بالنزيه في النقاد
 لا تحقر بنات فكرى فتلكم كل ما قد خلقت من أولاد
 حان ذلك اليوم الذى ليس تورى فيه نارا اذا قدحت زنادى
 ما أله الحياة لو هى دامت غير أن المنون في بالمرصاد
 حيد اعهد سالف لم أكن فيه لغير الجبال بالنقاد

مزايا الحجاب

للككتور محمد عوض محمد

رويداً ! أنحزن أم طرب ؟
 قدرى قصة شأها أعجب :
 فتاة من الزنج تهوى الرجال
 وعنها رجال الورى ترغب
 قضت زهرة العمر تبغى الخليل
 فاجازها خاطب بخطب

وقد صدت عنها وولى الفرار
شبابُ بنى الزجج والأشب
ونقر منها بنى جنسها
مُحيًا لها كالح مُرعب
وصوت وليس كصوت الكار ،
ولكنه اليوم إذ تعب
وأنف مُمَاخِرُهُ كالجِيعان
ذباب الملا حوله تلعب
ومن مشقر فوقه مشقر
كعقربة فوقها عقرب .
وإذ يفت من بنى قومها
وعز لها فيهم المطلب
أنت أرض مصر ملاذ العريب
وحيث لكل امرئ مهرب
وألفت عصاها وقالت : وهنا
سأسمى لأدراك ما أرغب .
وقد أعجبت نظام الحجاب
وما فيه من حِكْمٍ تُعْجِبُ
فقلت : وحمدتك رب الورى ،
لأن الوجوه ما تحجب
ويَسْدُلُ كل الساء القات
إذا ما رقيب أتى يرقب
فلا يعلم الناس ما تحته
أطى من العبد أم تعلب
وهل وجهها مشرق في النقا
ب أم غيب فوقه عيب ؟
وهل ساقها فوقها جَوْرَب
أم الخلد من طعه جورب ؟
وما لا تراه عيون الأمام
فأنفسهم يحو به تجرد .
وقد صدقت : رآها قتي ،
وأقل من خلفها يدأب

رأها فأعجبه قدما
وقد يسحر القد أو يحلب .
....
فقال لها : يا حيانى : ارحمى
قوى صادق الحب ، لا يكذب .
وكان السلام وكان الكلام ،
وكان القران وما يعقب
....
وراجت بضاعتها وانثت
ومجذباها تمزع محصب .
وكم سلعة كدت سوقها
وفي أرض مصر لها طُلب !!

لقاء !!

للشاعر الشاب على محمود طه المهندس

طال انتطارك في الطلام ولم تزل
عيناي ترف كل طيف عابر
ويطير سحى صوب كل مرثية
في الأفق تحقق عن جناحي طائر
وترف روي فوق أنفاس الربا
فلعلها تفس الحبيب الزائر
ويخف سحى إثر كل شماعة
في الليل تومض عن شهاب غائر
فلعل من لمحات نورك بارق
ولعلها وصح الجبين الناصر
ليل من الأوهام طال سهاده
بين الجوى المضي ومجنس الحاطر
حتى إذا همت بمقدمك المي
وأصحت أسترعى انتباهه عائر
وسرى العسيم من الخائل والربا
شوان يعق من شذاك العاطر
وترم الوادى بسلسل مائه
وتلت حائمه شبد الصاور
وأطلب الأزهار من ورقاتها
حيث تعجب للريح الراكر
وجرى شعاع الدر حوالك اقصا
طرباً على المرح الصير الراهر
وتحلت الدنيا كأنها ما رأت
عين صورها حيال الشاعر
ومضت تكذبي الظنون فأشئ
منسماً دقات قلبي الثائر
وإذا ساقى الروض تملأ خاطري
سحراً وأملأ من جمالك ناظري
متعاقبين على الزهور ونحن في
شك من الرؤيا وحلم ساحر
غبا عن الدنيا وغابت خلفها
صور لما ص لا يغب وحاصر
(البقية على صفحة ٢٢)

في الأدب الشرقي

الأدب الفارسي والأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأستاذ بكلية الآداب

٢

ولا ننسى بعد - أن اللغة الفارسية بقيت لغة الدواوين المالية في إيران حتى زمان عبد الملك بن مروان .

ولا ريب أن اللغة الفارسية بقيت لغة التخاطب في إيران بين العامة على الأقل، ولا سيما في القرى والنواحي البعيدة، فإنا قد وجدناها منذ القرن الرابع ترتقى إلى أن تكون لغة آداب؛ واللغة لا تموت جملة واحدة ولا تخلق جملة واحدة على أن كثيراً من الدلائل يثبت أنها كانت لغة الكلام في هذه الفترة أي قبل عصرها الأدبي الحديث، وقد انتقلت منها كلمات كثيرة إلى البلاد العربية مع النازحين من الفرس وتأثرت بها لهجات بعض العرب .

فرسل عبد الملك بن مروان إلى المختار بن أبي عبيد الخير، وأمره بمسكركم إن الاشتد لم يسمعوا كلمة عربية، وعبد الله بن زياد وعمر أمير عربي كانت فيه لكثرة فارسية (أحدها من زوج أمه) - والفرس الذين عرفوا العربية لم يخلصوا من لغتهم ولهجاتهم - وقد روى الجاحظ أن الحجاج قال لحسان فارسي أتبيع الدواب المعينة من جندنا سلطان؟ فقال «شريكاتي هوارها وشريكاتي مدائنها وكما تبيع - تكون». قال الحجاج - ويحك ما تقول؟ فقال حصص من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك؛ يقول: شركاؤنا بالامواز والمدائن يمشون إليها هذه الدواب معجزة يبيعها على وجوهها. وأبو مسلم الخراساني على صاحبه التي حملت رؤية أن المعجزة يقول ما رأيت أعجباً أصح منه - كان لا يستطيع النطق بالعاف - وقد روى المؤرخون أن إبراهيم الأنما حينما أوصى أما مسلم قال له: وإن استطعت ألا تبقى في حراسان لسأما عربياً فاعمل - مما يدلنا على أن لغة الجمهور هناك

كانت فارسية، ويحدثنا شعر النعمان بن قيس عن الألفاظ الفارسية في مدائح الرشيد

ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة بل لغة أهل المدينة كان بها كثير من الكلمات الفارسية في أيامه، مما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد، ويحدثنا أيضاً أنه سأل خادماً له إلى من أرسل هذا العلامة؟ فقال إلى أصحاب السد نعاله يعني العمال السديّة.

وأما هذا في كتب الأدب كثيرة. ولأمر ما ناز الزراع منذ أيام أبي حنيفة على قراءة القرآن بالفارسية، ثم بابك الخرمي كما يؤخذ من المهرست كان لسانه متعقداً بالأعجمية، و(به آفريد) الفارسي الحنفي على عهد أبي مسلم لما أراد أن يضع لأتباعه كتاباً وضعه بالفارسية. وأنتم تعلمون ما دخل العربية من الفارسية لا سيما في أسماء العلوم والأثاث. هذه جملة ثبتت أن اللغة الفارسية لم تمت في هذه الفترة إن كان هذا في حاجة إلى الإثبات.

وأما الفرس أنفسهم فقد خلطهم الفتح والإسلام بالعرب، أي خلط، فالفرائد العربية انشرت في الأرجاء الفارسية، والعرب انتقلوا إلى البلاد العربية أسارى أو مهاجرين طلباً للرزق أو العلم أو المناصب. فالمدينة على نأيتها كان بها فرس، وهم قتلوا هالك عمر وسعيد بن عثمان بن عفان.

وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا في العلوم الإسلامية. ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف.

كانت دولة الأمويين عربية وقليل من غير العرب من سموا فيها إلى الدرجات العالية، وكان العرب، لأنهم أصحاب الدين والدولة ولاهم الدين أقاموا الملك ونشروا الدين، يرون أنفسهم أجدر بالرياسة وأولى بالشرف على ما كان فيهم من الاعتداد بأنفسهم والنصر بأنفسهم منذ أيام الجاهلية. فخطط الفرس من أجل ذلك عليهم، ولكن الفرس لم يكونوا قد أقاموا من دهشة الفتح الإسلامي ولم يكونوا قد تمكنوا في الإسلام واللغة وامتزجوا بالعرب امتزاجاً يمكنهم من منافسة العرب، وما كان العرب قد ضمعوا وتغلبوا وتمزجوا في الأقطار. بقي الفرس ساخطين فاستعان بهم الثأرون

على الأمويين ، فكانوا عوناً للنخار بن أبي عبيد ولعدو الرحمن بن الأشعث . فكان جيش النخار من الموالي إلا قليلا ، وقد عتب العرب عليه إذ استعان بالعتقاء من الموالي ثم أعطاهم حطهم في الثنائيم . ولما قال رسول عبد الملك لابن الأشعث - أجمت قتائل جيوش الشام هؤلاء ؟ أجاب ما هؤلاء . إلا أبناء أساورة الفرس .

والأظرنا إلى أن جيش النخار كان أول من نأر للحسين بن علي وقتل من قتله عرفنا أحد الأسباب التي جمعت بين التشيع والفرس منذ أمد بعيد . فقد كان العلويون والفرس سواء في كراهة الأمويين فتحاربوا . جاءت الدعوة العباسية وقد نبأت الأسباب ليأخذ الفرس مكانهم في الأمة الإسلامية فكانوا أحسن دعاة هذه الدولة واليهام يرجع الفصل في إقامتها . وقد رأى نصر بن سيار في هذه الدعوة خطرة على العرب والإسلام فقال فيما قال :

نمزي عن رجالك ثم قولي على الإسلام والعرب السلام
كانت الدعوة العباسية خليطاً من الدين والعصية . الفارسية فابو مسلم كان فارسياً ومسلماً غيوراً مخلصاً . وقد أسلم من أجله كثير من دهانير الفرس . وهو الذي قتل المنفى الفارسي سر (به أفريد) حبراً سرور الدعوة فقام يحيى الرردشبة : وكان أبو مسلم قد دعاه من قبل فأسلم وسود هذا المرح يتمثل حتى في تسمية أهل خراسان الرماح التي خرجوا بها لصرة العباسيين : كافر كوب - أي مصارب الكفار فهو اسم مركب من كلمة عربية متصلة بالدين ومن كلمة فارسية . وبما يتمك به هنا قول بعض الشعراء :

ودعني وقع الاسنة والفناء / وكافر كوبات لما يجبر قد
بأبدي رجال ما كلامي كلامهم / بسموتني مرداوما أنا والمرد ؟
ومهما يكن فلا أحوال الجردى قد أخطأ حين سمى الدولة العباسية . دولة خراسانية شرقية .

كان للدعوة العباسية وما عقبا من قيام الدولة - نتائج كثيرة . وأما أهمها ما يتعلق بالفرس . فقد انمشت الآمال في نفوسهم . ومكنت لهم في الدولة وحلضتهم بالعرب حلطاً تاماً - وكان من مظاهر هذا الانتصار في بلاد الفرس ظهور دعوات دينية جديدة وثورات (به أفريد) انتهز الفرصة لوضع دين قريب من الزردشبة . فأسخه أبو مسلم وقتله . وقد أحب الفرس بأبي مسلم أيما إعجاب . فلما مات أصر الملية موته وقالوا أنه اخفى وسيجيء مهدياً من بعد - ومهم من قال أنه سيئ منه زردشت وإياه لم يمت كما لم يمت زردشت . وقد دعا إلى هذا داعية في بلاد الترك يعرف باسم اسحاق التركي ولكنه فارسي . وهم صديق من أصدقاء أبي مسلم اسمه ساذ يقول إن أبا مسلم أحصى في صورته حماته يساً . ثم نزل أنه سبب

لهدم الكعبة انتقاماً لصديقه . وقد جمع حوله هذه مائة ألف ولكن ثورته لم تلتك طويلاً - وتلت ذلك ثورات يوسف البرم والمقع الخراساني وعلى مزدك ، وملك الخرمي ، وأكثرها مصحوب بذكرى أبي مسلم . ثم جاء القرامطة وفعلوا ما فعلوا وكان منهم ابن أبي ذكريا الذي شرع لهم أن من أطلع النار يده قطعت يده . ومن أطلعها فمسه قطع لسانه وهذا من أثر الزردشبة . كل هذه مظاهر تحتاج إلى شرح واستقصاء . ولما دللتها على قنما العصية الدينية والجنسية في هوس الفرس هذا في بلاد الفرس . وأما أثرهم في سياسة الدولة وفي حاضرة الإسلام بعدد فقد كان للفرس الرجحان على العرب عداً خفياً . منذ قيام الدولة . وقد بلغ الأمر غاية حين تنازع الأمين والمأمون . وكان المأمون في مرو من أقصى خراسان أشبه بحليقة فارسي . وقد أعاه الفرس على حرب أخيه الذي كان يمتز بالعرب .

وروي أن أول شعر فارسي نظم في مدح المأمون كان إذ ذاك . فلما غلب المأمون تمت الغلبة للفرس . ثم استمروا ميطرين على الخلفاء حتى أديب منهم لا ترك أكلة تصم : حتى إذا قامت الدول الفارسية ملك نوبويه بعدد إلى أن كان طور السلطان التركي فأديب منهم للسلاجقة . ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين . وقلداً الخلفاء وغيرهم الفرس في ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم : أمر الخليفة المنصور أن تلبس القنسوة الفارسية . واتخذ هو ومن بعده الخلفاء المذهبة على الأساليب الفارسية . وقد أبقى الزمن من نفوذ الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة في مظهر فارسي كامل - ومن الكلمات الجامعة في هذا ما قاله المتوكل حين أراد إصلاح السنة المالية ورد النيزوز إلى مكانه من العام فاحضر المويد ليستمين به . فقال الخليفة . قد كثرت الخوض في ذلك ولست أتمدى رسوم الفرس . وسأله وأبه في الإصلاح .

« تسع ... »

لقا !!

(بقية المنشور على صفحة ٢٠)

حتى إذا حان الرحيل هتفت بي / ووقفت واستبقت خطاك بواطري
وصرخت بالليل المودع باكياً / والدمع يشمع لي وأنت مفادري
بأننا لم نصح منه ولينا / ما أعنته زحى الزمان الدائر !

ولقد أتت بعد الليالي وانقضت / وكأنا في الدهر لم تزاور
مدلت من عطف لديك ورقة / بحنين مهجور وقسوة هاجر
وكأنتي ما كنت إليك في الصبا / يوماً ولم تك في الحياة مناصري
ونسيت أنت ، وما نسيت وإنتي / لا عيش بالذكرى ، لعلك ذا كرى !

الخلاص

للشاعر الهندي رامدوانات طاغور

من كتاب شعر حديثا بعنوان «الزور والدمع»

ترجمة الأستاذ عبد المسيح وثير

لاستاذ عبد المسيح وثير أحد كبار القديسين الذين تصفوا بسورة
الدمع والخلوص، وهو الذي قد تصفوا بسورة الدمع والخلوص، وهو الذي
الذي تصفوا بسورة الدمع والخلوص، وهو الذي تصفوا بسورة الدمع والخلوص.

تجلس العاشقة المكونة في حبيبها إلى حديقة أرهاق تمتعت
عن رائع رهوها، فتجلى لمشوقها الراحل تماثلا من عين يبرز
رويدا رويدا في شبه الصورة المحفوظة في ذاكرتها،

تفترس في التمثال ثم تحديق إلى الماضي فيجول الدمع في عينيها.
وفي كل يوم ينزل ظل متكاثف يكتنف الصورة المحفوظة في
لوح قلبها، فالرسم الذي كانت تراه بالأس بارزا جليا تلقه
اليوم متضائلا بموها، وكما نطق الزمعة، وربذها ليل ندد
العاشقة النار على ذكرى عرامها.

تور سورة غصبا على نفسها، ويأخذ الحجل مأخذه كله منها.
فتمدد إلى التفتش، فتعيش على الثمار والماء، وتنام على أديم
الأرض

وكما دنا التمثال من الكمال بعد عن شبه الصورة المكونة
في ذاكرتها، ويجعل إلى العاشقة أن ذلك التمثال لا يشبه صورة
إنسان على الأرض، ولكنها تخدع نفسها فتعشبهه شبه الجيب الذي
فقدته إلى الأبد.

تعبد التمثال مع عبادتها الرائق، ويوقد حوله سرجا مصوعه
من ذهب، فيضئ المكان بالرائحة المسنة من ريب السرج
وتتراكم الأرهاق والشدوح يوما فوما حور، التمثال إلى أن يحس
بعدم اليها طفل ويقول: «ريد أن نحب بها».

«أين؟»

«بحاب دميك».

فجبه قائله: «لن أسمح لعدم بالدمع من هذا المكان».

ويقول طفل آخر: «ريد أن نقتطف بعض أرهاقك».

«أى أرهاق ترسمون عندها؟»

«تلك الرائق الغريبه من الهمية الكه».

فتقول له: «لن أسمح ليد بمس تلك الأزهار».

ويطلب اليها طفل آخر قائلا: «أخرجي ذلك السراج وأنيري
سلما» فترص طلب الولد فقولها: «لن ينقل ذلك السراج من مكانه».

يتواجد الاطفال عليها أرواحا أرواحا، فتصت إلى هدر مسهم،
وتشهد تراثهم في مرحهم وجدلهم، فتستغرق في التأمل هيبه،
ثم تنه من غفلتها مدعوة فتتورد وجناها خجلا

بعد ذلك يفتح معرض في المدينة المجاورة

فيزورها شيخ طاعن في السن ويألفها قائلا:

«ألا تراقبتني أينما الحبية إلى المعرض؟»

«أني لا أستطيع ذلك».

وتهرع اليها فدة تبارها قائلة: «هل لي يا إلى المعرض».

«لا أتمكن من مراقبتك، لأنني لا أستطيع الاستغناء عن لحظة
أفضيها في سبيل ذلك».

ويمسك طفل يهدب ثوبها متوسلا اليها بقوله: «خذيني معك
إلى ذلك المعرض العظيم».

ولكنها لا تستطيع الانقطاع عن تأمل مية قلبها طرقة عين،
وفي جنون الليل تسمع صوتا كهدبر الرعد، لأن مئات
الروار والوفهم يحوزون القرية في طريقهم إلى المعرض.

وعندما تنفيق من نومها يكت وقع أقدام الزوار تغريد
الطيور، فتشعر برغبة في الذهاب إلى المعرض، ولكنها تذكر
آتذ أنها لا تستطيع ذلك، إذ ليس في وسعها أن تهمل عبادة
الهيا - صنم عشيقها الراحل - يوما واحدا.

وفي الصباح تكرر مسرعة إلى الحديقة.

فأين الصنم، ياترى؟

يمر الزوار ذرافات بالقرية وقد عا أثر الحديقة واغتفى
الصنم - أما سبل الرجال والنساء الجارف فلا يقف لحظة عن جريانه،
تاجي نفسها في لطف قائلة: «أين حبيبي؟»

فهمس في أدها هامس قائلا: «هو بين عابري السيل
هالك!»

وفي هذه اللحظة ذاتها يقدم اليها طفل ويقول لها: «خذيني
معك»

«إلى أين؟»

«ألست ذاهبة إلى المعرض»

«بلى، أني لذهابة»

فتجوز حديقة الأرهاق وتنضم إلى قافلة الروار، لاسها وجدت
ففيدها المشهود بين الأحياء.

في الأدب العربي

القرية المهجورة

للشاعر أوليهر جولدميث

أوبرن، يا جنّة في سبخ وادينا بانفحة النحر من فردوس ماضينا
حيث السعادة للحصاد (١): عافية تشد منه، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو بواكير الربيع بها غيبا قبل أن تنثى البساتينا
وحيث يحلف بك الصبب بحة زهرا برف، وأطيارا تنفيا
مماهد كنت أغشى في عرائشها ترى ملهينة (٢) قد طاب أردانا
مقاعد من شباب كه مرح سقيت فيها الهوى والسر خلصانا
جبروت ديل شباق في خمانها نيا، ومليت فيها اللهو ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة نغم من كل شيء فوقها هانا

لكم وقفت لأستل منظرها وأملأ العين سحرا جد محلس
أشاهد الصكوخ في أطلال أيكه والجدول العذب يجري غير محبس
والمع اليعنة الزهراء مشرقة من سبخ راية في دجنة العلس
أصنى إلى الليل والطاحون صاحبة والطير تشد وبصوت ناعم الجرس

هناك في دغل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة مفتى من معابنا
كانت مطاف الهوى في طيب عزلتها حينا، وكانت مطافا للأنسى حينا
كم حمل النسم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحبينا
ولم حمدنا يوم اللهو مقدمه فيها لنحي بها أصفى ليلنا

يوم ترفه عنها النفس ما نقيت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون العرس شامخ في ظل فبنة الأغصان فرعاء
ينحويهم حلقات من نسيم مرقصون على المزمار والبال
ياجرون من الألامب أروعها والشيب يلحظهم لحظات إنغراء

وإن يمل من الأنساب صحته استأصرا أطرافا في اللهو وانغمروا
كل يافس في صبر وفي جلد رقيقه - ليعال الغالب الضمر

(١) أصل هذه الكلمة SWATH - صاها - لك لم تعد في القاموس بجمعة من صفة
لما غير ملاح - صفة - صاها - (٢) مصدرها بكاء القبر - المص

وي تداول في الآفاق سيرته وينشر الحى ما أبدى فيشتهر
قد استخف بما يلقاه من تعب والترب يعملو بجيئنا منه والمفر

ببأ ترى ساريا في القوم معنطا يروى الكات لهم والكل مفتح
يتلو عليهم طريفا من نوادره حلوا يكاد مع الأرواح يمتزج
ورب ساجدة الأجفان قاتنة ظلت تراه منها أعين دمع
وتهم الأم ما ترمى فتحدجها حدج الملامة في صمت فتزعج

أما لمهدك يا أوبرن، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هذي المفان كانت في ترادفها توحى إلى قلب أهليك الهوى الشفا
على خمانها قاضت مرانها سحرا - ورفقت على أدغالها طرقا
مفان - أذوت الأيام بهجتها وصيرتها الليالي اللي هدفا

وأوبرن، أين تولت من مفانك هذي الملاهي وفرت من روايك؟
لقد تمشت يد العاني عليك فلم ترحم قلوب الحزاني من أهالك
وقد علاك شحوب من تعسفا ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد - وكانت ترانا في أوالبك

كانوا جميعا - فأمسى جميعهم بددا والربيع أقوى - وكان الربيع مأنوسا
والسهل لم يبق فيه بهد فضوته إلا بقية زرع كان مفروسا
والجدول العذب لم ينصر نالقه كما عهدنا - وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالأعشاب عتق بشق مجراه بين العباب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هتما
هنا هو الرخم، يبنى وكره ويرى مستعكنا في ذرى الأغصان مشرقا
وفي طلوك تدوى اليوم ناعمة تسمى بصوت كتيب ماضيا سلعا
أما لمهدك يا أوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هذي خمانك الخضراء ذاوية حالت مباهجها - دالت دواليها
تواثبت فوقها الأعشاب هائشة والمحل أصبح صيغا راعيا فيها
واليوم أهلك في خوف وفي وحل من طش مسرد الأحكام طاغيا
تبدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أهل غير أهلها

نفسية قطرة

للكاتب الفرنسي توفيل جوتييه

نقلها عن الانجليزية الاستاذ احمد امين

فطني بصاء الصدر . قرمزية الالام . ذرقا العين . تعيش معي على خير ما يكون الصديق لصديقه . ان تمت نامت تحت قدمي . وان جلست على كرسي اكتب جلست هي على منكنة تحلم . وادامت حديث والمديقة تمنى لو اذا اكلت زاحني . خالت . احبانا . بينو بين لقمي . استودعي ذات يوم صديق لي يمنا . احصرونا بمود من سمره . فاستوحش من منزلي . وشمر أنه يقرب . قسطنطين القصر حتى أعلاه . ثم جثم ما كنا مرتعدا .

وكانت فطني لم تر بناء قط . فكان غلظا جديدا أمام عينا . ادهشها منظره . فكانت اشبه شيء . بقطة محطمة من آثار الفراعنة . واستقرت في التأمل كأنها تستبد في ذاكرتها كل ما درست من التاريخ الطبقي على سطح الدار وفي حديقة المنزل ؛ وكان ما بدور فكرها يتجلى في نظراتها حتى لا تستطيع أن أتبين من عجبها حلاص أفكارها كالألو كانت تدير بفول بليغ ومطلق نصيح . كانت كأنها تقول : ليس هذا المخلوق دجاجة خضراء . ولما علمت من درسها هذه النتيجة تركت المائدة حيث كانت ترصد السماء ورصدت في ركن من أركان الحجارة مسوطة الدراعين مطرقة الرأس مغطوة الظهر . كأنها تتر بترنص غزالا ورد الندير .

كان السماء يتبع حركاتها في اضطراب . وقد مشى وبتشه ورفع ساقه المرتعشة وسن متفاديه على إنائه الذي يأكل فيه . وهدنه غريزته الى أن هناك عدوا بدر الكبد له .

ثم أخذت القطرة تسعد الى السماء نظرات حادة وهو يطرأها فامها حتى العهم ما يحول محاطرها . فكانت كانت تقول : لابد أن تكون هذه الدجاجة لدية قطع على الزعم من أب خضراء . وكنت أرق هذا المظهر باهتة موطأ عسى أن أمدح عند الحاجة .

ثم دنت القطرة من السماء وأما القرمي يرند . وعجاها نصيفان وأطامها نفبض وتنسط . وعمودها القرمي يرتفع وينخفض . وأخذت تني نفسها قرب الحصول على طعام لديد . كما يني الثرة نفسه اذا دعي الى مائدة صفت عليها ألوان الطعام الشهي .

ثم انحني ظهرها صاعدة كما يحى القوس في يد الرامي . ورونت

وتنة فاذا هي بجباب العمص . فأيقن السماء بما هو فيه من خطر وقال بصوت خافض وزين : هل أفتارت باحس . وهي كلمة تعبر . السماء . أن يقولها كما على سيده

فأخذت القطرة من الرعب ما لا يوصف : فتر أن حولا دوت . وصحاه كسرت . وضدت بارية دوت . ما روعت الفضة كما روعت من هذه الكلمة الرعدة . انشأت أن يوراء . وعنى ومبهات سمره . كل آرائها في هذا المظاهر . وكان يحل الى من ينظر إليها أنها تقول : ما هذا مائرا ان هيرا إلا انسا صدير .

هب السماء . يعنى بصوت عال . لانه تحقق أن كلامه خير وسيلة يدفع بها عن نفسه .

نظرت القطرة الى نظرة استعظام فلم يقننها جواي . فتأنت نفسها في فرائي ولم تحرك طيلة يومها .

وفي اليوم الثاني عاودتها شعاعها فتأودت الكرة على السماء . ولكنها لاقتنى يومها مالاقت في أمسا . فاعترفت بهزيمتها وقررت أن تعامل هذا المظاهر باحترام كما تعامل الانسان

العوامل المؤثرة في الادب

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

ولم بأسوا لارما . وحاول أحد الاطباء الادباء . وهو محمد بن دانيال الموصلى ان يكرر برعا جديدا من الادب اقتبس من العباب حبال الصل فالف كتابا سماه طبف الخيال فحط عمله

وامانى الاندلس فابتدع عبادة بن مابالسماء القرار الموشع . واركب او بكر من قومان الرجل . فطرب الناس لهما واعجبوا بهما واقبل امراء القريص ورعما . الادب على نظمها وجمعها فصنع فيها السواع واشتملت على روايتها الكتب . فما السب ادى في استبحان

العداديين لادب العامة وعروضة . واستبحان الابداسيين لهو ونوغم به . السب يعرفه المخرج الماخذ وهو ان يعداد كانت شديدة الارستقراطية لانها موطن الاشراف وذوى الاحساب والمثاله والثرية فكانوا يترفعون عن الشعب ويستخفون بادية رديوه . كانت . ويحدون من انصاحه ان يتحلوا بحليته ويجروا على اسطوره . ولكن الاندلس كانت ديمقراطية عنة كاسر بكاليم . فطبعوا حديثها بالسب لتساوهم فيه . ولا بالثرية لعموم الرجا . بهم . وحسن توزيع الثروة بينهم . فكانت مارل الخاصة والعامة متصافة . وادواقهم وآدابهم متفارقة . لذلك لم بناء الشعراء والادباء على تقليد الادب العامي وتدوينه .

« ونع »

(١٠) «فانا أطوى البشر بجانب من غير أن أسمعهم أو أبصرهم كما لا أميز بين أبحار الليل ومسحوق رفات الانسان . لا علم لي بأسماء الامم التي أقبها . يسموتني أمهم وما أنا إلا قهرم شتأى بلتهم أمواتهم فرماناً له ، وريعي لا يستمع لصلوات عرامهم

(١١) «لقد كنت قبل أن توجدوا دائماً معطرة وجيلة يوم كنت أترك للرياح شعوري المحلة ، وأسلك في السماء طريق المعتاد فوق قب الميزان ذي الكعكات الالهية . فلما وحدثم ذهبت وحيدة في صمت رهيب أعبر الفضاء الذي تنفاذ فيه الكائنات ، وأشق الهواء بجيحتي وثديي العاقلين .

(١٢) «هكذا تخاطبني الطبيعة في صوت حزين متعال ، وأنا أبغضها في نفسي وأرى دمنا في أمواج نياها ، وجئت مرتاناً تحت حشائشها تعذني بعصيرها جذور غاباتها . وأقول لعيني اللتين قد تريان فيها جمالا ، حولاً نظراتكما الى غيرها ، واسكباد معاتكما على سواها . ليكن حبكما لما سوف لا تريان به مرتين .

(١٣) «آه ! ترى من سوف يشاهد جمالك ورقك مرتين أيها الملك الشاكي الذي يتكلم بتنهدياته ؟ ترى من سوف يولد مثلك حاملاً قبلة كما تحملين فيما ترسله عيناك من بارقات البطر في ترنحات رأسك المنكسر . في هذا الفد المضني الساكن في دعة الى فراشه ، ثم في تلك الابقامة النقبسة التي تغبض بالحب والألم .

(١٤) «عيشي أيتها الطبيعة ، وعيشي الى الأبد فوق أقدامنا وفوق جباهنا مادامت تلك سنك : عيشي واحتقري — ان كنت ربة حقاً — الانسان ، ذلك العابر سيل الذي كان من المقدر أن يقوم عليك ملكاً ، فاني أحب جلال الألم الشرى فوق ما أحب ملكك ومظاهره الكاذبة . هيات أن تنالي مني صيحة حب !

بركها في الخمسة المسماء ، ورائعها ، فامرأع من تلك في سوادها شمساً ، بل وظنوا على الله حيث صدمه صدك ، في سوي كما ، كذا في حدتي الخواطر ينصور رواه ينقد بها الأشعة . أمي تارة هذه احباء في يوم تمت تحكمت تحاكم في الله بها على الساعات المهم في حلة الكائنات في خاطرة ألام صك ، ورويه كان بعد ما . شاماً يصعد وارا من ثقافته ثم يأتي احد من أبناءه عن شامه دوا شعر صعبه لا تنالني لنداء انتشرت بل نال صفت ما اشعني وحس صحت في رواه وشارنون التي منه بريرة عند الانسحاب من جعل في الله به ودمر قهرون لم تحقق فكره فجميع مثله شارون . لاله . فص طلاء شار الحيار الذي انشأه في بردهم من بدري لعل هذه الفكرة كانت من عايشه دوا تاجه مكمل شارون

(١٥) «ولكن أنت أيتها السائغة المتهاونة ! أمتريدين أن تضي رأسك فوق كفتي وتستسلمي لأحلامك ؟ تعالي نشاهد ونحن على مدخل منزلنا المنحرك من مرثون سيمر من الشر . لسوف تدب الحياة فيما يحمله الى الشعر من صور الإساية عد ما تمتد أمام منزلنا آفاق الأرض الصامته الى غاياتها البعيدة .

(١٦) «وهكذا نسير غير تاركين وراءنا فوق تلك الأرض العاقة التي مر عليها أمواتنا من قبل الا شبحنا . ستعاذب الحديث عنهم عندما تظلم الآفاق ، ويحلوك أن تسلكي سبيلا محروا لتستغرق في أحلامك مستندة الى الاعصان الضئيلة باكية حبك العابس المهدد كما بكث (ديانا) على شواطئ تبعا .

نحمد عبد الحميد متدور

عمر منه كله الادب ماري

oooooooooooo

الدكتور طه حسين

في الجامعة الأمريكية

سيلقى الدكتور طه حسين خمس محاضرات في موضوع «الشعر العربي في القرن الثالث للهجرة» بقاعة المحاضرات بالجامعة الأمريكية في تمام الساعة السادسة من مساء الأيام التالية على النظام الآتي :

المحاضرة الأولى : يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣

الحياة الأدبية العربية في القرن الثالث للهجرة

المحاضرة الثانية : يوم الجمعة ٣ مارس سنة ١٩٣٣

أبو تمام وشعره

المحاضرة الثالثة : يوم الجمعة ١٠ مارس سنة ١٩٣٣

البحرئ وشعره

المحاضرة الرابعة : يوم الجمعة ١٧ مارس سنة ١٩٣٣

ابن الرومي وشعره

المحاضرة الخامسة : يوم الخميس ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣

ابن المعتز وشعره

ولهذه المحاضرات تذكرة خاصة بثمن قليل وتطلب المعلومات عنها من سكرتارية قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

القصص

على هامش السيرة

الفداء

للدكتور طه حسين

أصبحت سمراء محرونة كاسفة الباليال تبدو على وجهها المتجد وجيبها المقط كآبة مظلة ، لم تحاول في هذا اليوم أن تحجبها أو تخفف من حدتها كما تعودت أن تفعل منذ أعوام وأعوام ، فقد عرفت سمراء ألم الحزن منذ اخترت زمزم ، ومنذ ظهر حرص زوجها على الولد ، ورغبته في كثرة العدد ، ومنذ خطب فاطمة المحرورية فأحبها وكلفها ، وانصرف إليها عن كل شيء وعن كل إنسان . ومنذ كثرت ولد فاطمة من البنات والبنات واشتد ذلك حب عبد المطلب لها وكلمه بها ، وانصره إليها ، وتجاهبه عن زوجه الأولى تلك التي أضاءت له سبل الشاي وأعانت على احتمال أنفاس الحياة الأولى .

نعم عرفت سمراء ألم الحزن في هذه الأعوام الطوال من حياتها . ولكنها كانت على مداوتها امرأة لينة بارعة الجاهل ، زكية القلب ، تعرف كيف تخفى عن زوجها ما يكره ، وكيف تلقاه بما يحب .

وكانت توفق بفضل هذه اللقاة وهذا الذكاء إلى أن تستميل إليها زوجها . وربما اضطرت إلى أن ينقطع إليها وقتاً ما ويضي زوجها الأخرى إلى حين ، ولكن يوماً أقل يحمل إلى سمراء شراً ليس فوقه شر وألم ليس بعده ألم ، أصبح هذا اليوم مظلياً . فما أمسى حتى أطلت له حياة سمراء كلها ، ذلك أنه مضى يموت ابنها الوحيد . فأذاها مرارة الشك واليتم والترمل جميعاً . فقد كان الحارث لها ابنها الوحيد . وأما تحسن منه العطف وحوالاً ، وكان هو يحميها . ويعرف أسرارها ويحميها في الطلب لهذا الألم . فكان بالغ في رعاية أمه وحمايتها . وكان شديد الحرص على أن يلقاها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وعلى أن يبطل المكث معها والتحدث إليها . يشركها في جد أمره ولعله ، يستشيرها ويظهر قول مشورتها والاستماع لنصحها . فكان يقوم منها في أكثر الأحيان مقام أبيه . وكان يعزبها بحبه ويره عما كانت تجد من الوحشة حين يصد عنها زوجها

يبطل الصدود . فلما مات الحارث مات معه أمل سمراء . ولم تلق الحياة إلا بوجه محزون كتيب بصور قلباً مكلوماً مطناً . وقد جرعت سمراء لهذا الخطب واشتد جرحها . وطول ولكن شيء . مضى على الأيام وأبعد دهمت الأيام الطوال بحدة هذا الجرح وشدة . كما دهمت بنصرة شاب سمراء وكأذمت بحياة ابنها الحارث وكأذمت بحب زوجها عبد المطلب . وأصبحت وقد تقدمت بها إلى وامنحتها حوادث الدهر امرأة مدعة لحكم القضاء . لا تترك شيئاً ولا يبرها شيء ، محرونة ولكن في دعاء ملانة ولكن في هدوء .

وقد أحست انكار الناس من حولها لما يرون من حزنها وكآبتها . وما يجدون من انقباضها عنهم . فحدث ما استطاعت في إحياء ما تجد وكتبان ما تحس ، واحتفظت لنفسها بهذا الكبر الحزين . كبر الذكرى وما تثيره من العواطف وما تثيره من اليأس . وترك للناس من نفسها شخصاً عادياً يتسم حين يتسمون ويرضى حين يرضون . ويشاركهم في أكثر ما يجدون من عاطفة أو شعور .

على أنها كانت تجد شيئاً من الرضى وراحة النفس حين تجد من زوجها عطفاً عليها وأنساً إليها . وكان زوجها منذ أصابها هذا الخطب شديد الرق لها ، كثير الزبارة لها يصفها مودة خالصة قوية . ولكنها خالية أو كالحالية من هذا الحب الذي يحبي قلوب النساء .

أصبحت سمراء في هذا اليوم محرونة ظاهرة الحزن . كثرة بادية الكآبة . أقل عليها إناؤها الثلاث يحجبها تحية الصباح فردت عليها تحيتها رداً فارداً . ثم جلست وجلست وأحدثت معزها وأحدثت معارفي . وعلمت أيديهن في العريوسكنت الستين عن الكلام . وكانت سمراء تدع مرلها من حين إلى حين وتظل ساكنة واحدة ، وربما انحدرت من إحدى عينيها دموع حارة فأسرعت إليها تزيلها يدها دون أن تقول شيئاً . والاماء صامتات يظنن في حزن عميق إلى مولاتهن الحزينة . ولا تستطيع واحدة منهن أن تبدأها بالكلام . فلما طال عليهن هذا الصمت وهذا الحزن وثقل عليهن ما كن يحسن من ألم وما كان يملأ قلوبهن من حب للاستطلاع ورغبة في الكلام وميل إلى تعزية مولاتهن . اجترأت « ناصحة » وكانت أشجع قلوباً وأطول لساناً . لأنها كانت تعرف مكانها عند سمراء ، فقالت : لقد أصبحت يا سيدتي على حال

ما رأياك عنها من بعيد، صدكنا راءك محرومة كنبه ولكك
 كنت تجاهد في الحزن وتدافع الكآبه وتكلف الرضى، وكنا نجد من
 ذلك ما يشجعنا على بسك ونبهك بالحديث حيا وبالعلم حيا آخر .
 نعصر عليك كل واحد ما ما حفظت من أحار ملاذها، وميك كل
 واحدة منا بما تعلمت من لعل في رطبتها الأعجمية . وكذا كنت
 نسمي أفاضل سوريه وأخرى حبشيه وأخرى برابيه . وكنا
 نسمي أفاضل لغات أجنبية فيلما ما معجبت ولكها كانت ترسم على ثورك
 الانقسام في أكثر الأحيان، أما اليوم فلم نر منك إلا حزنا متأولا نسمع
 صوتك العذب، ولم يرعنا إلا هذه الدموع التي تسفحها في صمت
 اليم تكلمى بامولاني أبيي ماذا تجد؟ ماذا أحرمتك اليوم؟ تكلمى وأحس
 طنك ما، فقد استطع أن نملك على الحزن كما استطع أن نملك في
 تلك السرور نحن إماما ولكنا نسا نجد الحزن كما نجد به . ونحن
 اللوعة كما تحبها . ولعل حنا للكا . أشد من حنا للضحك . ولعل
 حرمنا على الحزن أشد من رعتنا في السرور . ولعلنا ان شاركناك في
 الحزن والالم جاريا طائعا، وأرسلنا نفوسا على سجاياها . وليس في
 حياتنا وان كنت لنا مكرمة ما بسر أو رضى، وأى شئ يسر أو رضى
 في حياة الأمة الغربية التي لا تملك معها ولا نحس إلا ذل الرق ولا
 نستطيع أن نرضى حقاً أو أن نسطح حقاً إلا اذا خلت إلى نفسها، وان
 لها أن تخجل إلى نفسها! تكلمى ياسيدتى ماذا بسورك وماذا بعشى وجهك
 بهذا الغشاء الحزين؟ قالت ناصحة ذلك وانطرت أن تجيبها سررا . ولكها
 لم تظهر بحوار، وانما رأت دموعاً تتحدّر ثم تهرثم تستحيل إلى زفرات
 حارة وبحب غير مقطوع . هالك بها الحزن ما بين السيدة الحرة وإمانتها
 من فروق فاسرع إليها بيدتها ويرقق بها . هذه قتلها . وهذه تمنح
 دمعها وهذه تمر يدنا على رأسها . ومن جميعاً بكن لها ويكن لأنفسهن . وقد
 هدأت سررا . بعض الشئ . وسكنت نفسها الثائرة إلى هؤلاء الاما .
 الرفقات فانتمت لمن في حزن . وشكرت لمن ما أظهر لها من مودة
 وعطف . وطلبت اسن العودة إلى ما كن منه من عمل . وأحدث هي معرنا
 وحملت سرور في دها . ولكن ناصحة لم تلت أن ما دلت إلى الكلام بهات
 وهي تكلف لاسماء ونصيح الصبح ليس يعنى عليك اعصت
 بامولاني فاه . علم ما حزين كما علم ما عليل . ولو لا حرقها منك
 واكارا ما انك لفصص عليك لفضها حتى تحرقك وتجرى دموعك الحرة
 على حدك النقى . ولكن انى لنا ان ملع منك هذه الحكايات وما أنت سيده
 ونحن إماما . قالت سررا . كفى عن هذا الحديث ما ناصحة فقد أسيت
 اليوم أن يبى ويبكى من ما بين السيدة وإمانتها . ولست أرى منك
 الآن إلا لسان نعباب مثلى . انما نحن احوات في الشقاء والثؤس . وما
 بمعنى أبى حردو أناملك من قبته على الصدم تحمله الدال . مدعة اصروف

القضاء . لا أملك نصي فعا ولا صرا ولا أستطيع ان ابرح هذه الدار
 وإلى أين أرحها ! لقد ذهبت عارة بنى أسد باني وأخى . وأصحت
 أمى وأخواتى إماما . مثلك . لا أعرف من أمرهن شئاً ولم يهص
 قبان بنى عامرو وكاتهم للتأر ! ليت شعري ماذا يصنع أبو راء . ما سته !
 ماله لا يلاعها فقد ذهب الموت باني وأصحت أسيرة في يد عبد المطلب .
 أسيرة لا كالأسرى : يجمونى ولا أستطيع أن بنصاً ولا قلى كما
 يعمل الأسرى . وانما أحبه ولا أجدهن داره منصرماً . ها هو ذا عداد
 من رحلته إلى اليمن منذ ثلاث . فلما بلغ مكة أسرع إلى هالة بت وهيب
 فعصى عندها أولى لباليه وأول أيامه لأبنا أحدث روجاته به عهداً
 ثم أصبح فانتقل إلى تيلة فأقام عندها يوماً وليلة . ثم أصبح فانتقل إلى فاطمة
 فأقام عندها يوماً وليلة وما أرى إلا أنه سيعمل بسحير . فلم يده الدار
 إمامة قصيرة ثم يسرع إلى هالة ! فاشد شوقه إليها وقد حدث أنه
 أقل من اليمن كأحسن ما يكون الرجال سنة وأربع ما يكونون جمالا .
 وحدثت أن هالة انكرته حين رآته فقد ودعا أبيض الرأس وعاد فاحم
 الشعر . كأنه لم يتجاوز الثلاثين (١) . وقد أنكرته من المد قريش كلها
 لما رأت من سواد لحنه . ولكنه أزال عجب قريش حين أظهر لها هذا
 الحصاب الذى حله من اليمن . والذى يرد الشيب شاباً . والذى أسرعت
 قريش إليه فاشترت منه واختضب به شيبها فاذا أهل مكة كلهم شباب .
 كل ذلك ولم أر عبد المطلب ولم أحسن منه ذكراً إلى وحينئذ إلى . وماذا
 يصنع ؟ ليس لي شباب هالة . ولا جمال تيلة . ولا ولد فاطمة . وانما أنا
 عحور قانية . يتيمة وحيدة ليس لها أب ولا أم ولا ولد . أنا هذا
 اخل الثقل . الذى يصيق به صاحبه . ولكنه بأى أن يلقه ويخفف منه
 بحافة أن يصعه الناس بالصعب أو القصور

هانت ذلك وأعرفت في نكا . طويل شاركها به إماما الثلاث .
 ولكن ناصحة لم تلت أن قالت . أمدا كل ما تعلمين من أمر روجك
 ياسيدتى ؟ انك إذا التحلين كل شئ . ولا تعدين . لا أقل أمره حطراً . وان
 عدى من أمر سيدنا مالوق قصص عليك لأرضاك ولخفف لوعة الحزن
 هذه التي تحرق مؤاذك الكتيب لن ترى زوجك اليوم بامولاني فهو عنك
 في شعب . فقد كان راضياً سروراً حين كان يرى نساءه يتكرن سواد لحنه
 ويعجب شامعاً لجدد . وحين كانت قريش تسبق إليه تشتري منه هذا
 الحصاب بما أحب من . ولكه محروم مداس . معرق في حزن لا
 دار له . فهو خلى بالرائ . انك تحببه ياسيدتى وستسين إعراصه عك .
 وسترئيله . وانى أخشى أن تحبى إليه حين تفرين ساء . قالت سررا .
 في شئ من الجزع بدأ هادئاً ولكنه لم يلبث أن اشتد قليلاً قليلاً حتى
 بلغ أقصاه : ماذا تقولين وبم تتحدثين ؟ هو محزون ! هو خلى بالرائ . لماذا ؟

(١) انظر طبقات ابن سعد صفحة ٥٢ من أول قسم أول

ابنني متى علمت بذلك؟ وكيف أحيت على؟ ما الذي يحركه؟ ما الذي يسوء؟
 ما الذي يجعله أهلاً للزنا؟ ما الذي يضطرني إلى أن أحياه لأعزبه
 وأواسيه؟ فولي، أسري، لا تخفي علي شيئاً. قالت ناصحة: مهلاً يا سيدتي
 أريدني بنفسك ولأننا هي باقي الخيال كل مذهب لا بأس عليه في نفسه. ولا
 في ماله. ولكنه عند مرمد أسري منه. هو على ذلك إن في هذه الحجة لعمراً
 لك عن فقد حارثه العزير. أم ذكر يوم اختر مرمد قدر لنز أوتي
 من الولد عشرة ذكراً. قالت سمراء: إني لم تصحبوا أحداً ياؤس
 هذه اليوم! بعدت عن هذا السر وكان مصر سقني كله. عرفت أنه
 سيسكن من السر. وأب مدته النصحة مدودة إلى عتي قد تكون
 عن أبي العزير. بعد ذلك اليوم آتت النساء جميعاً لأورأت في كل
 واحدة منهن صر على ومساكن البو. رأيت شبح الموت مقيماً بهذا البيت ما
 أقام فيه ابني مفارقاً لهذا البيت ما آتاه ابني. ومن ذلك اليوم لم أر ابني
 في عتي ولا في يوم! رأيت الموت له ظلاً. أمي حديثك ما ناصحه قالت
 لعنه بعد ذكر روحك أسري. وهو سجد إلى فاطمة بدمه هذا وذكر
 في أسري. وأب مدته. ولما بشره أسري. راحم مولد طفله حمرة فاسم
 سوفس بدمه. واحد بين أحداً مائة. ولما جعلهم ليلة من اليوم حتى تنهم
 له هالة أو شلة أو عدها عشرة أو تريد بهم على العشرة. ولم يكذب
 بعد هذه السبع حتى حرعت فاضه وشاركا ما ناهي الخرج. أشعفت
 عن الزبير وأبى هذا أب وعبد الله وغيرهم من سبها

ولم يخبرني بذلك على العباس، وبلغ الخبر حالة هزعت على حمزة
 ونارت له كرامة. أنه ياتها وأخ الناس على الشبح. تأتي كل قلعة تكون
 لصحة مديها. وأبو الشبح يحميهم فجمع إليه نبيه وأداهم بدمه فكلهم
 وروا كلهم أصابعه وكتبه الخ عليه ليوفيه بالدر ولتدمن الصحبة.
 ولم يلبس ليريشه. ما أس حديث! لا هذا أنا هم بساؤله ويكبروه
 ويكرهه. وقالوا: من هذا الشبح على هذا المرم اعطيه. قالت سمراء
 ولي. صطري. ثم قالت لعنه. ثم أقبل الشبح عليه إلى الكعبة مع
 صبي فاحماله فيم فاحه فخرج المدح على أحب إليه وأثرهم
 عنده. قال: مرادوا. ساعات من عينيها دمان محرقان. خرج المدح على
 عبد الله قال: لعنه نعم. فاحداً شبح يداً عوده إلى المدح وفي يده
 الشده. و... ما به خرو. ومن من دون الفتي صانحاً بصصر حتى بي
 محروم. يصصر حر. عرشا كلها ويمس الفتي بحاس. وأول أحداً من
 إلى الك. صار عتاه. معاهالت. إذا كان ذلك هذا استحال إلى صخر فلا
 ريق لا لك الشاب ولا لأمه شح ولا لأخوانه الناس. وإذا كانت
 شمة قريش قد فسد. جنت وعظمت حتى جعلت الآباء على أبنائهم حتى
 الحياة والموت كاهم الرقيق أو الحيوان. فدعا تحتكم في هذا العتي إلى الرب
 هذا البيت هو أوسع ذلك رحمة وأجدر ملك أن يرضى هذا الشباب على

الصباغ. وإن يرأ هذا الدم الذي أن براق تحتكم إلى رب هذا البيت في
 أمر هذا الفتي. لمرع ينعون هذه الأبل الكثرة التي تسيبها في الحرم
 ولنا من ذلك ما يرصى رب هذا البيت.

وكانت قلوب فريس قد مضطربت حرماً وتصدعت أسى لقول هذه العتاه
 وهي تبكي. وقد التزمت أخاها تماقفة وتقبله وتعدل وجهه الناصع بدمها
 التبرير وهي قصص: لا موت من قل أن تموت. فمالت فريش بالشبح ملايه
 حساً ونحاشه حساً حتى اضطربه إلى أن يقبل تحتكم الآفة
 قالت سمراء وقد بلغها الملعق: لعنه ثم مددا. قالت العتاه ثم لا أدري
 تركهم يتأهبون لاجالة القداح بين العتي والأبل. وأقلت لأقص عندك
 البأف رأيتك غيا كنت فيه من حزن عميق.

قالت سمراء: ياؤس لهذه الحياة! لا يسعد فيها الناس بخير مهما يكثر كل
 السعادة. ولا تشقى فيها الناس بشر مهما يعظم كل الشقاء. أسعيدة أما
 بموت الحارث أم شقية؟ لو قد عاش لدقت الآن ما تذوقه فاطمة من هذا الحزن
 اللاذع والخوف المهلك ولكني كنت أؤثر مع ذلك أن يعيش فقد
 كان يمكن أن تحطه القداح. وقد كان يمكن أن لم تحطه في المرة الأولى أن
 تخرج على الأبل من دونه وقد كنت أستع به أعواماً. ولكني لم لا مقام
 لنا الآن لسرع إلى حيث هم لشاركهم فيما يجدون. واحسرتاه إلى
 لصادة الحزن! إني لصادة الخوف! إني لشديدة الاشفاق! إني لشديدة
 الرجاء. ولكن فاطمة ستظن في سوء ما مستفد أني أقبلت غير بريئة النفس
 من الشبهة. قالت ذلك ونهضت بدفعها حزنها الخالص ويردها خوفها من
 سوء الظن بوليكها أسرع مع ذلك وأسرع ممها إماماً لها. ولم تكذب تقدم
 في الطريق نحو المسجد حتى سمعت أصواتاً ورائت اضطراباً ثم
 نيت في الأصوات فرحاً ورأيت على الوجوه بشراً. وعرفت أن القدح
 قد خرج بعد لاي على مائة من الأبل. وأن عبد المطلب يؤذن في الناس
 أنه سينحر هذه الأبل بين الصفا والمروة. وأنها حرام عليه وعلى بني
 هاشم. مباحة لغيرهم من الناس والحيوان والطيور.

فأسرعت سمراء حتى اختلطت فاطمة وبناتها وهي سايرات على
 بالفتى ويحلق بينه وبين غيره من الناس. حتى إذا بلغن البيت ألقين
 فيه امرأين تكيان أحداً مائة هلت وهب أم حمرة وروح عبد المطلب.
 والآخرى بنت عمها البقية آمنة بنت وهب. هالك أقلت سمراء
 هادئة باسمه إلى العتاه فكفكفت من دموعها. وصمتا إليها وقلت
 جيننا الطلق. ثم التفت إلى عبد الله وهي تقول: هلم باقي قبل أهالك
 فمما تغل لها في المهر قل تبلغ هذه الدموع التي ذرفت حراً عليك. ثم
 نظرت إلى فاطمة وهي تقول: ألا ترين أنها أحق فيات فريش أن
 تكون له زوجة!

طه حسين

الرجل صاحب الكلب

قصة مصرية : للأستاذ محمود تيمور

حدثني الراوى قائلا :

عندما كنت طالبا في مدرسة الزراعة بالجيزة كنت أتردد في أوقات فراغى على قهوة صغيرة بالقرب من الشارع «عموى» بجري بحوارها جدول صغير وتهدل فوقها أعصان شجرة عتيقة . وكنت اعتبرها حلقة الاتصال بين الحضر والريف أو بين المدينة والحياة الساذجة الدائبة . فبينما نكون جالسا في مقعدك البسيط نشرب القهوة في هدوء ونصنى إلى خرير الماء ونشم رائحة النبات اذ بك نسمع دوى ترام أو سيارة ويمتلئ أفك برائحة البنزين والتراب . وكان يتردد على هذه القهوة رجل بدين الجسم كروى الوجه بأف أنف وعيون صغيرة يلبس بدلا من المعطف حرمة من اللون الأزرق الكالح ويلف رأسه بشال قديم مهلبل . وكنا في ذلك الوقت على أبواب الشتاء . وكنت ألاحظ عليه مظاهر الجريئة . واعتقدت أنه من أرباب المعاشات الفقراء . وأذكر أنني لم أذهب إلى القهوة مرة واحدة ولم أجده . أراه دائما في ركة المعبود بحوار باب القهوة متعنا في جلست يدخى الأرجيلة ويحتسى القهوة ويرزق بين فترة وأخرى على الخادم يصدر إليه أوامره الممضنة . يصحب معه دائما كلبا أسود تشع الحب من صلبه الأرست . يرعج القهوة بباحه الثقيل . كان سيده يبالغ في تدليله والاعناء به . ويكلمه بعض كلمات الجليزية بلهجة سقيمة لا تتعدى قوله : كام هير جيسى كام هير ماى دير (١)

ولا أدري ما الذى دضى إلى أن أهتم بهذا الرجل وكلبه وأدقق في ملاحظتى إياهما . مع تيمورى منهما .

وذهبت مرة إلى القهوة فوجدت عربا مسح الأحذية يتشاجر معه . وكان الرجل يصر للعلام تصونه للمريض الومح وهو متعج الأوداج محمر العين يصفق أمامه عصا مواء . ورأت الكلب ينبح مدسح الأحذية بشدة ويجذب بأساه طرف نوبه . فتعاشيت التدخل إليهما وقصدت إلى مكانى بحوار الجدول ومعنى كتاب الزراعة المصرية لأذاكر فيه . وجاء صاحب القهوة غشم الخلاف وشم عويسا وأرصى الأعدى بعض كلمات لا تخلو من تملق . وترك الكلب ثوب اللام وذهب إلى سيده فطر إليه مليا وهو يصبص

(١) مال منا يا جيسى قال منا يا عيسى

بذمه ثم تمدت تحت أقدامه ونام .

وجاء عويس يمسح على خذائى كالعتاد فنددت له قدى في حركة آليته غير ملتفت إليه وانشغل بالعلام بالمشح وأنا بالكثير ومعدرة غاطت عويسا ووجهى لا يفارق الكتاب .

— من يكون هذا ؟

فأجابنى وهو مهمك في عمله .

— واحد حكيم لا طلع ولا نزل . يدعى أنه كان حكيماشى في الجيش في الزمن الماضى

— وازن ؟

— على المعاش

ثم رفع رأسه إلى وقال :

تصور يا به أنه يريد أن يعطينى قرش نعيمه واحد في مسح خذائه ووضع شريط جديد له . وأى جرمة هذه التى مسحتها . وأنا لا يورك اؤكذلك ان الورنيش لم يسها منذ ان كان جنابه في الجيش .

ولاحظت على الرجل انه يشاركنا النظر فاردت أن أحول مجرى الحديث ولكنى لم استطع اذ كان عويس قد يدفع يقول :

قرش نعيمه واحد نظير مسحة شريط جديد . الله الفنى يا سيدى . . هذا خلاف الخدمات التى اؤديها له بدون مقابل . ولو كان شخصا فقيرا لقلنا نخدمه لوجه اقول لكه رجل عا كم . عا كم تمام .

وسمعت الحكيماشى يصق بشدة على الأرض فحلف عويس من حذته وهسى قائلا :

— تصلى بالله لو ذهبت إلى بيتك لظننت انك في مزيلة أو مربوط بهائم . . لم كل هذا والديا أخرتها موت . فلك واردم على هذه السيرة . .

وعت عن القهوة بصمة أيام . ويدها كت مرة في الترام مهمكا في قراءة «اللاع» اذ شمرت بشخص يدخل العربة . وكانت مزدحمة بالركاب . وبحشر ضمه بين الجالسين وسمعت همهمة استياء من كل ناحية . ورفعت بصرى لأرى من الداخل فوقع صرى أول وهلة على كلب اسود صخم يشع الحب عرفته على الفور . ورأيت أمام مقعدى الحكيماشى يمسح وجهه المحقق المعقد ويشد حركته على أكتافه ويدفع جاره وهو يدمدم . وتلاقت أعيننا . وشمرت بأبنى ابتسم له . وشاهدته يحبى محامته مانسا مسطحية حافظة . وبعد لحظات قال لى مندفا

— يدفع الواحد من ستة ملديات لهذه الشركة الملعونة ليحظى بمثل هذه الجلسة المريحة . نحن آدميون ولنا سهايم حتى يحشرونا هكذا كأننا في عربة لمحيوانات . لماذا لا يزيدون عربة على كل قطار فى مثل هذه الاقارب . أقسم بالله ان سوارس ادى تدفع فيه ثلاثة ملديات فقط أحسن ألف مرة من هذا الترام .

مرافقة مرافقة تامة . وأخذت أذم له الشركة بدورى . فظهر على وجهه الارتياح وأخذ يناقش الحديث بلهجة ودية ومزح . تكلم كأنه يعرفنى منذ أعوام . وقال :

— لم تحضر الى القهوة منذ أيام

— كنت مشغولا جدا . لقد وجدت عليا الدروس .

— إيه يا بنى لو كنت معا فى الجيش لاستصمرت من شأن مشاغلك .. كنت أنا لا أجد الوقت الكافى لتناول كوب اللبن فى الصباح

— حضرتك خدمت فى الجيش مدة طويلة ؟

فأجاب بلهجة متزنة وهو يبتسم سلسلة ساعة

— ٤٥ سنة .. ٤٥ سنة . أنا أعيش فى احبم وعلى طهور الحياء . أضمد جروح الجرحى وأعنى بالمصابين . ثم أخرج بعد هذه الخدمة الطويلة العريضة الشاقة معاش لاهو فى العير ولا فى العير . لا مكافأة ولا يحزنون .

ثم مال على وهو يبتسم وقال :

— ألم تسمع المثل القائل : آخر خدمة العز علفة .

وكان قد حلامكان بجواره فطرق إلى كلبه الذى كان يمدد تحت أقدامه وقال له وهو يفرقع بأصبعه ..

— كام هير جيسى . كام هير ماى دير .

وأشار له الى المحل الخال . فقام الكلب وبعد أن تمطى وشاب فى هيئة شنيعة فمز بجوار سبده والناس يرمقونه بالظفر الشرر . والتفت الى الحكيم الذى وقال وهو بلاطف كاله ..

— لم أر فى حياتى كلبا ويا كجيسى هذا . انه انسان وليس بحيران . لقد استغنيت به عن اللبن فهو ابنى . وعن الخدم فهو تابى الامين . وعن الحراس فهو حارسى الذى يبدل دمه فى سبلى . أتصدق أتى لا أعاشر سواه فى منزلى .

ثم نظر الى كلبه وقال :

— أوه جيسى أى لاف بوفرى ماتش (١)

وكان بجوارى شيخ معمم فسمته (بمحص) بشغبه ويتمن قاتلا .
— لله فى حلقه شقرون !

ووقف التزام على إحدى المحطات ودخل المرة محمد ائدى زكريا الموظف ببنك الكومرسال الايطالى فلم على فى شاشة . ثم التفت الى الحكيم الذى وقال

— أهلا أسعد بك . فى غاية الاشواق يا حبيبى

(١) أوه يا حبيبى أنا أحبك كثيرا

وتحدثنا برهة فى العوميات . ثم رأيت أسعد بك الحكيم يائى ومحمد ائدى زكريا ينتحان باب الحث فى المسائل المالية . فسكت وأصغيت لهما . وأخذا يتعمقان قليلا قليلا ثم أعداهم من كلامهما نبأ . وكانت أمثال الكلمات . الكامو والورصة وسندات الشركة اللجكية وأسهم البنك العقارى والرمات القرنسارى تطن فى أذنى طنيا مزعجا . وارتسكت على وجه أسعد بك أشد مظاهر الاهتمام وجدت عبيه تحمقان فى وجهه عدته حلقة الجائع الشره . وناقضى أبعه تسعان كأنهما تستجديان الحوار . . . وأخيرا وحلنا الجيرة فلم أسعد بك عليا ونزل لاه كان يكن هدمالدة . أما أنا ومحمد ائدى زكريا فناما ركوبنا الى الأهرام اذ كنا نرغب فى تناول الشاي فى (مينا هاوس) وملك على محمد ائدى وقلت له :

— ان لصاحبك ماعا طويلا فى الأمور المالية .

— انه يا عزيزى يلبس بالحبيبات فى سوق المصاربة كما تلعب الأولاد (بالبل)

— وهل بكب ؟

— لم أسمع مرة واحدة أنه خسر

ومرت الايام وكثرت مقابلتى لأسعد بك فى القهوة وتوقفت بينى وبينه روابط الصداقة . واتضح لى أنه شخص غير مزعج كأنه تمت قبل معرفتى اباه . فكان اذا رأتى فى ركنى المعهود منكبا على كتابى اذا كر دسى احترام على ولم يفتح فم بكلمة .

أما اذا لاحظت أنى لا مهلى دعائى الى الجلوس معه . ولا أذكر أنه أكرمنى فنتجان قهوة . أو قدم لى سكاراة واحدة . أما حديث فكان سخيفا ولكم ملل للغاية . معظمه حكايات عن حياته الماضية فى الجيش ونواده . عن كلبه لا تخلو طعنا من مبالغات ومعالطات . وكان اذا تكلم عن كلبه لمعت عيناه بوميض غريب وحيل اليك أنه يتكلم عن ابن وحيد له قد وهبه كامل محبة وحنانه .

وتفقت بضعة أيام عن القهوة ثم عدت اليها فكان أول شى لاحظته هو أن أسعد بك غير موجود . ولما جاتنى علام القهوة سأله عنه فلم يهتنى شيئا . وبعد قليل ظهر عويس ماسح الأحذية . وكان سرورا يحبط بطهر فرشته صدوقه فسأله :

— ما الخبر يا ولد ؟

— خبر عظيم جدا يا به لقد أخذوا كلب أسعد بك فى عربة الكلاب . يا شيخ !

— شاهدت ذلك بعينى رأسى

ونالنى شيء من الأسف . ولكننى لم أقهر بالامر كثيرا . واعتقدت أنى سأرى فى المد صديقى وكله يحتلان ركنهما المختار فى القهوة

وبعد انقطاعي بصفة ايام ذهبت الى القهوة فوجدت أسعد بك
وبحثت بعيني عن الكلب فلم أجده.. وكانت عياصديني ترديدن حاترين
ووجهه محتفا. وسلمت عليه فلم علي في انصاف وصمت ظم أنا أن
أقبل عليه. وقصدت الى مكان وفتحت كتابي وبدأت دراستي ولكني
ما كنت أقدر حتى سمعت بكلم في لهجة شرسة كما يتحدث اسياما
أمامه قائلا :

ياخذون الكلب بطلون من جنبا مقابل اخلاق سراحه ! جيه !
هذا نصيب ، نيب ... احص على دي مصلحة.

وبصق بصفة كبيرة . ثم أتم كلامه
مع أني اتمنتهم أني حكيم ... حكيماني الاورده
التاسعة التي فطرت العصاة في الأيصر ودارفور . رجل مقامى
معروف وماضى مفعم بحليل الأعمال . مصلحة دور الانعرف
اصحاب المقامات ... احص ..!

وبصق بصفة أخرى . وكان يتكلم بدون أن يلتفت ناحتي
ولكني كنت متأكدا أن الكلام موجه الى اذ لم يكن في القهوة
غيرنا . فرأيت من باب الحمامة أن أعير حديثه اهتمامي . وقلت :
... جمع مصالح الحكومة بابتلة .

فاخذت في كلامه وهو ينظر أمامه دائما وقال :
... الا هذه المصلحة . انها ليست بابتلة فقط . انها غير
موجودة .. أتصدق أنهم يرفضون شهادتي الرسمية بأن الكلب
غير مكلوب وأنه ليس من الكلاب الضالة ، ويقولون ان الاجرامات
يجب أن تتبع مجراها . اجرامات؟ هه ... سأريهم كيف تتحذأثال
هذه الاجرامات مني ومع كلي . سأريهم ...!

وضرب بشدة على المائدة والتفت الى هذه المرة وعيناه تشعان
بالحرب وقال :

... لقد أرسلت عريضة اليوم الى وزير الحرية لتخليه سبيل
كلي في الحال .. في الحال .
فأجته على الاثر .
... حنا فعلت .

وفي المد سافرت مع فرقة من منلة المدرسة في رحلة الى الصيد .
وقضينا هناك أسبوعا كاملا نتغفل بين روعة متفرجين على آثاره
العظيمة . وفي اليوم التالي لمودني الى القاهرة فصدت الى قهوتي
المعروفة . رأيت عربيا جالسا القرفصاء على الارض بجوار احدى
الموائد وأمامه صدوفه ينتظر زبائنه . فادبته وسأته على القور .

... ماذا جرى لـ كلب أسعد بك ؟
عابتم ابناسه عريضة وقال :

... تعبت أنت !

... قلوه ..

... منذ أربعة أيام .

ألم يدفع أسعد بك المبلغ ؟

... يدفع المبلغ ! انه يرضى أن يدفع لهم عييه ! ولا يتجاوز
لهم عن الجنيه .

وشاهدت أسعد بك آتيا صوب القهوة بتوكأ على عصاه الملبطة
وبسير في ثقل واعياء . ولما اقترب مني انقسم لي ابناسه هزيلة وسلم
علي ثم جلس . ولاحظت على وجهه شحوبا كأه قريب المهد
معرض خبيث . وأشار الى المقعد الذي أمامه وقال :

... تمض اجلس

بطئت وبدأنا نتحدث في أمور نافية . وكانت لهجة مهلهة
ونظراته فيها بعض الشرود . ولم يتكلم بكلمة واحدة عن جيبى
فعلت أنه لا يريد الخوض في هذا الموضوع . ثم خيم عليا صمت
ثقيل فاستأذنت وقصدت الى ركني .

ومنذ ذلك الحين اختلفت مواعيد أسعد بك ولم أعد أراه دائما
في القهوة كلما ذهبت . وغير عاده في فجان القهوة السادة للذي
كان لا يجده عنه ولا يزيد عليه واستبدل به بضع كؤوس من العرق .
وكان كلما ثارت الصياح في رأسه اندفع يتكلم في اسباب بعض
وبصوت مرتفع كأنه يصرخ أو يشتم . وكانت موضوعاته دائما
لا تخرج عن حبه مصلحة الطب البصري وسب العالم كله على السواء .
كان يقول دائما :

... الدنيا كلها هيب في نيب . احص بلا قور . وبدأ
بضيقني على شرب الزبيب . معصوب يقول لي :

... لانتحش ضررا . أناحكيم . ان الزبيب مفور للدم وفانح للشية .
أحسن المشروبات كلها .

وأصبح مجلس أسديك لا يطاق . فلم أكن انعم معه بتلك المحادثات
المسلية . ولم يكن يتركني اذا كر دروسي في هندو . بل كان دائما يفلتني
لصياحه المزعج ويضطرني الى الانصات له لتحيز كلامه وكان اذا رأى
مقصر أني الانصات اليه جاء الى مائدتي ونقل مشروبه اليها واحتل مقعدا
بجوارى وبدأ يسبح بشكاياته وشنائه .

وحدث مرة أن جاءه صاحب القهوة بحساب الشر . وكان من عادة
أسعد بك أن يدفع الحساب شهريا . فأخذ الورقة من يد الرجل وألقى عليها
طرفة عابثة ثم صاح في وجهه :

... مائة قرش؟ جنيه ! أما الصوص صحيح ان أدفع هذا المبلغ ما حيت
ودعك الورقة قور ما ما في وجهه صاحب القهوة . وايراد الاخير ان يتعام

معه في لطف فاقترب منه ومعه الحساب وأخذ يوضع له عدد الطلقات التي طلبها . فدفعه أسعد بك بشدة وصاح ..

— اذهب من أمامي لن أدفع شيئا . كلكم للصومس أولاد كلب .
فاخرت عينا صاحب القهوة وقال :

— للصومس وأولاد الكلب يا حبيبي هم الذين لا يؤدبون ما عليهم

— احرس ! أنترف من الذي تكلمه ؟ أنا أسعد بك حكيم ما نسي
الأورطة التاسعة في الجيش المصري .

— وماذا يهم ؟ أنا أريد نقودي . ليس هذا الجيب كجيبه مصلحة
الطب البيطري الذي لم تدفعه انفاذاً لكلك . هذا جيبه ثمن مشروبات
جررتها من محلي ..

ورأيت سحنة أسعد بك قد انقلبت وصارت كسحنة النمر الهائج وقال
وصوته يرتجف :

— ماذا تقول يا رقع ؟ جيبه الطب البيطري اجنيه الكلب ! أنظر أنتي قد
بجحت بالجيبه في سبيل انقاذ كلبتي ؟ اتجرؤ على هذا القول يا العين ؟ أنا أَرْضِي
أن ادفع مائة جيبه لاجنبا واحدا من أجله .. ولكنني لا ادفع للصومس
أو لادحرام ، كلكم تستحقون ضرب بالصرم ، ورأيت يده يمس يده المرتجفة
في جيبه في حركة شادة ويخرج ورقة مالية من ذات المائة قرش وينهال
عليها تمزيقا في وحشية غريبة ويقول :

— أنتطيع ان تقول انني لا استطيع أن أدفع جيبا ..
ثم قام وأثب أظافره في رقبة الرجل . وقامت بين الاثنين معركة حامية
استدعيت من أجلها الشرطة .

وساءت أحوال أسعد بك فلم أعد أراه إلا محمورا وث الهينة يرق
الملابس . قوى الشبه هو لا . المتشردين مدمني المخدرات الذين نراهم في
الطرق يستجدون المارة . وكان لا يسكت لسانه عن النقود وبالاخص
عن الجيبه الذي لم يدفعه اغادا الكله ، وكان يؤكده في حماس غريب أنه
لم يدفع هذا الجيبه نكايه في مصلحة الطب البيطري ليفهم أنه ليس
مفعلا أو ضعيفا . وكان يروي الحكاية لكل من يقع عليه بصره في
القهوة أو في الطريق وهو بصيح ويهدد ويشت . وإذا لم يجد من يكلمه
رأيت يحدث نفسه عتدا وهو يلوح يده في حركات شادة .

واطلب من شجيع متكالب على المال إلى مصرف متلاف لا تعرف بينه
ما تنفقه شماله . وسمعت أنه كثيرا ما يذهب إلى مصلحة الطب البيطري
ليعدي الكلاب الضالة ويخرج لها ونصا بمبالغ لا يستهان بها . وكان
يحرصني دائما على التبذير ويقول :

— اصرف وسمح على نفسك .

وقالت مرة محمد أفندي ذكريا الموظف في بنك الكومرسيال الايطالي
هو روى لي أخبارا مزعجة عن أسعد بك قالت أنه يضارب الآن بمنون ويخسر

خسائر فادحة .

وحلت الاجارة السنوية وانقطعت عن زيارة القهوة ثلاثة أشهر كاملة .
ولما عدت اليها رأيت كل شيء فيها لم يتغير . وكانت مائدتي المختارة في
موضعها يجول الجدول تظللها أغصان الشجرة النيقة . فكأنتي لم
أفارقها الا منذ ثلاثة ايام . واستغلتني الوجوه التي أعرفها كل
بانسانته الخاصة . واثمت حولي مشرق الوجه وأنا أقول :

— كل شيء كما هو !

وبنته قلت لعريس الذي كان يسمع مفعدى في هرج وسرور وبهي .
بسه لمسح خذاتي ..

— أين أسعد بك ؟

فتوقف عن عمله ورفع بصره إلى وقد غابت ابتسامته وانقطع ضجيج
المرح وقال لهجة قايضة :

— ألم تسمع عنه شيئا ؟

— كلا

— لقد أرسلوه إلى المارستان . كانت حالة المسكين في المدة
الاحيرة عمرة . وكنت أنا الذي أعنى به .

— ما هذا الكلام ؟

— الحقيقة ما أروها لك

— وهل يمكن أن أزوره في المارستان ؟

ومدحريس صندوقه تحت قدمي وبدأ يمسح في هدوء . وقال في لهجة
غريبة :

— كلا يا سيدي لا تستطيع أن تزوره ... لن نراه أبدا ..

ونكس رأسه .. فتصكت رأسي أنا أيضا وبدأت استغرق في
تمكيري العزين .

في الصيف

للدكتور طه حسين

بيعه من اليوم شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

٥ ثمن النسخة ١٠ قروش وللجيلة ثمن خاص ،

تريد أن تحب ... ؟

للأستاذ أنور شايول

الأستاذ أنور شايول كاتب عراقي وشاعر غزل وفقى يمارس الكتابة في رزائل الصحافة ويصدر مجلة (الحامد) وهي لقرن المجلات الأسبوعية في بغداد. وهو ثاني اثنين ألقيا بالمصالحات على قواعده من القرن السابع وله فيها كتاب الحصاد الأول .

(الرسالة)

أرعت من قراءة القال . وفي هذه المرة لم ترم الحلة بنصف ويأس شأنها كل يوم انما وضعتها بلطف قرب وسادتها ثم مدت يدها لتعطف على زرا الصباح فساد الطلام .

وفي حليكة المرفة كانت عياها فتوحات ينم عن عينا يرق عريب . لم تستلم للنوم لأنها كانت تشعر بحاجة ملحة الى الانباء والتعكير عينا أيمن أن يكون شفاؤها انلارم قد أشرف على النهاية لتشرق شمس القدر ضاحكة وتفل الحلة المعفودة لترتمي بين أحضانها ؟

انه مقال « في الحياة والحب والجل » لا يبدله بها فإنه قل اليوم من تلك القصص الطويلة . انه قطعة من واحد . قلعة من قلب بل هو حياة مثلي - مصرة طالما حلت اليها بمد مكثها قلبين . ولكن هذا القال لم يثر من اهتمامها قدر ما أثرت منه كاتب القال . ذلك الودعي القدير المصنوع ذو القلم الساحر الذي استطاع ما لم يستطع قلبه كاتب من إجابة الحرات السكامة من أعماق صدرها .

من هو هذا الكاتب ؟

للقال مذيبل ما شاء . ولكن الامضاء لا يشير الى شخصية حقيقية اعما هو من تلك الامضاءات المتكررة - « سبر النجوم » - ومن هو هذا سبر النجوم ؟ وضعت على زر الصباح فتفجرت الأنوار تدمر الظلمة وكانت الحلة في يدها فعلت مكتة على وسادتها وراحت تطالع القال ثانية . وهي في كل فقرة من فقراته تستهزل النظر وتطلق لا فكارها الخائعة المان . لم تعرف (م) كم مرة أعادت تلاو القال في تلك الليلة . ولم يكن ليها أن تعرف ذلك . وعند ما دقت الساعة اثنين صد منتصف الليل تذكرت أنها أوت الى فراشها في منتصف الساعة الثامنة

و (م) من هي ؟

هي تلك الزينة التي ما كلد ثمرها يعثر في الحديقة العناء فتمتنع الذي وتشرب العبير وتستحم بأنوار الشمس حتى قطعت عنها الطبيعة

عاري الباه فراحت كنكو العطن وتخذر الهلاك .

هي الزوجة الحناء بالامس للزعة الكاس سعادة قديمة . الارملة البائسة اليوم المنك الجوايح شعوراً عرياً غلوياً .

بالجمال المراتع تلامسه بدالاسي بأصابعها النارية يا قلب المارغ بعد امتلاء تقرب اليه الوحشة والحين بين الكريات الواضحة الجيلة ! ويا ليالي الشتاء ما أطولها وما أقسى بردها على هذه الحانة الوحيدة الواحدة !

توني روح (م) ولما تمر على زواجرها أكثر من عام غلب شربكة حياته ولاسوى لها سوى طفلة في يدها ودكريات طيبة مشوية تمرلرة المراق الابدي . من الذي سيبدلها الحديث الخلو ؟ الاغنام ؟ القبلات والمناق ؟ ومن سيخطرها الحياة شعورها وسعيا ؟

أجبت وجبتها شأن كل أم وأفرطت في الحب ولكن هذا الاوط ما كان ليخفف من مصابها شربك حياتها . وموت الابام والاشهر وقصرم عام وبضه . و (م) تستهدف سهام الحياة .

تتألم ذلك الالم الآخر الذي يحش في نفس حبيب خاتته قواه لما استطاع كلاما حتى ولا أيتها .

سل الوسادة مما بللها من دمها العزير في ظلمات الليل اسل النجوم مما تصعد اليها من حشرات على أجنحة الريح ! وسل المرأة الصافية مما صوب اليها من نظرات حزينة ! ومن خلال لآلي الدموع كانت عيناها تنظران بحبلا . كبير الى الجمال الضاع .

سأنتي ملرت حساء ... جاذبي ما زالت تائرة ... وذاي العارغ ... هل سيظل هكذا ... ؟ ولماذا يظل هكذا ... ؟

تحول هذه الانتكارات وأشاهها في رأس م . فلاتلت أن ترتعي على كرسى قرب ونعش بالكا . هذا ماددت اليها طمئنتها تصيح (ماما) انفلتت من البكاء للصحت ومن الاحشاش للقبقة . وفي ثوب لم يتغير هو الالم للمص في قلبها الوديع .

(أريد أن أحب) - وحى علوى هبط على نفس (م) هبوما قطرات العطر على الزهرة العطنى ولامس كل عاطفة من عواطفها ملامسة لصحة اللوقد الجبم البارد المصطنع . ولكن أين من نحب ؟ ومن هو ؟ وكيف الحصول عليه ؟

شاب في مفشل العمر . محشوق القوام . ضحكوك الوجه : يراق العينين ! حرسى الصوت . محبوا المشر ! متحف ! ذكي ! ذلك من كانت تحت أو تحولت تحت عه (م) ليملا فراغ قلبها الفنى .

ولكن أين تحده ومجتمعها من الفسوة بحيث يراقب منها الحركات والسكنات ويحصى عليها حتى أحاسيا . طريقها طويلا شئكة فهل تسير وهي حافية القدمين أم تتكس على الاعقاب ؟ (أريد أن أحب)

كانت وجهاً هائلاً ما أن له مرد.

بعد تفكير أيام ملأها وصلت إلى أثبت بملكها أن غيب أحد
كواكب السماء، وكواكب السماء كثيرون تتمتع بمحلم وأصواتهم في
السماء الناطق كل أسوع، فاعليها إلا أن تحب أحدهم مثلاً روبرت
موتكوسرى أو كلارك كابل أو موريس شعلية أو جاك بوكاني
أو شيرلس فزل أو رامون توفلور أو أي كوكب آخر قد نرى على
أفناء صورته ومشاهدته أفلامه وفراءه أحاراً ونسمع كل أنثر من آثاره .
وهي فكرة جميلة عصف من لواعجها ولسكنها لا تطفى . أوار قلبها !
أها في حاجة إلى حب حقيق لا حبالي . فلتحدث عن أميتها في عبر
هذه السبل .

سـ لماذا لا تطالع الروايات العصرية التي ملأنا أشتاتها أحياء
يرزقون ؟ فإذا ما نملك أشتاتها بطل ما فلتحدث عن عباها فصل إلى
معرفة والانتصار عليه تنفوره وعلى رأسها إكليل (كيوييد) وإلى
حاشيا عشيقها العزيز المملوك !

فدكرة جميلة جداً حاولت أن نخرجها إلى حيز الوجود فقرأت
أكثر من خمسين رواية فلم تظهر بمطمع أنظرها وأفكارها فأشاحت
بوحها حزينة ولهي !

وكومة البرق الخاطف تحت حج الطلام حيطر لها خطر أنت إلى
ورأت فيه مخرجاً لها من هذه الحالة الاليمية ، هو أن نبحث عن (نريد
أن نحب) في الجرائد والمجلات المحلية منها بوجه خاص ، في هذه الصحف
يكتب المشرات من الكتاب والقصصين والشعراء فاعليها إلا أن
تطالعها بانتظام حتى تثر على صالتها المنشودة .

مقالات ! قصائد من الشعر الطوم أو المنور ! كانت
مأثورة لا يعمى لها عدد ! هذا سياسي ! ذلك أدبي ! الآخر عالم .
إلا أنهم كثيرون ! كثيرون جداً ولكنهم على رغم كثرتهم يثر واحد
مهم كامن في نفسهم فكانت تطالع ما ينشرونه ثم لا تلبث أن ترمى
الصحيفة حاناً ثم تلسكها شعور هو أقرب إلى العور منه إلى السواء .
حتى كانت تلك الليلة البعيدة التي وقع نظرها فيها على مقال
« سحر النجوم » في الحب والجمال فتعشت الصعداء وثرقت
أسارير وجهاً وخفق قلبها حفة بحرية لم تستطع « م » تأويلها
إلا بأنها عثرت على من تريد أن تحب .

والجدة التي نشرت مقال « سحر النجوم » أسبوعية كانت « م » تشتريها
صباح كل أحد من بائع الجرائد والمجاول لدارها ، أما اليوم فقد كتبت إلى
إدارة المجلة ترحو أن تصدقها مشتركة في ثلاث نسخ أرسلت ذلك
الإشتراك السنوي عنها سلماً .

وكان مزار الأحد التالي صدرت المجلة . وبالحزن « م » ! هي بعد
استطاع أسوع كامل كان أطول من علم لم تقرأ شيئاً ! « سحر النجوم »
وبالرحمة القلب !

« أريد أن أحب » وحي أحد يتحسم بمعمولة في نفس « م » يوماً
وبوماً يملأ الأولى في « م » وفي الأسوع الرابع قرأت ودموع
الأمح تفرق في أدمعها مفعلاً ثانياً لسحر النجوم عباها « السعادة »
الروح والملك ! فكان له أثر عميق في نفس « م » فاعادت قراءته ثانية
وتلك وراصة حتى أوشكت أن تحطه عن ظهر قلب

وفي الأسوع التالي نشر « سحر النجوم » قصيدة في ٢١ بيتاً بعنوان
« قلبي .. » كل بيت من أساتها بسيل رقة وحلا ، فكررتها « م »
حتى حطتها كلها وراحت تنسى ما صاح بها .

وظلت « م » تحف آثار « سحر النجوم » عشيقها أشتها الأعلى معبودها ،
فلنحمها لثباتها ولا تقرأ ، سواها . وفي أحد الأيام فكرت حقاً في
الامر وارتأت أن عليها أن تعمل عملاً حارماً في هذا الشأن فتقول
لسحر النجوم وحيها لوجه « إني أحبك .. أحبك أيها الكاتب القدير ..
أحبك أيها القتي الجليل .. » فكيف تصل إلى ذلك ؟ وأجهدت
فكرها وإذا موحى الحب يهبط فيلسها أن أتدعو « سحر النجوم »
- رسالة تعشها إليه بواسطة المجلة - لتناول الشاي لديها في مساء
الثلاثاء القادم . ما أبدعها فكرة معصية سهلة التنفيذ . !

وفي هدوء الليل حلت إلى مكتبها فحبر الدعوة إلى سحر النجوم وكان
الدم يرتف بين أمانها فتكتب وتنشط وتمرق ثم تكتب وتنشط
وتمرق ثم تعود فتكتب وتنشط وتمرق .
هذه كلة حذرة .. هذه حيلة .. هكذا .. هذا بهر غير صحيح .

واحدة استغرت على أن تكون الدعوة كما يلي :

« أنا إحدى المجلات مكانك المياضه مروح أنشرف مدعوتك
إلى تناول الشاي في داري الواقعة .. في الساعة الخامسة روالية من عصر
الثلاثاء القادم . أهلاً بك بعد الآن »

فراحتها ثانية وتلك فاعجتها ، بعد ذلك وضعتها في غلاف معطر وكتبت عليه :
إلى الكاتب المحترم سحر النجوم .. بواسطة المجلة .. العراء .
وحين استلقت على فراشها أرادت أن تقرأ الرسالة للمرة الأخيرة فل
أن تلتحف فقاولتها وتلتها بصوت عال كأنها تريد أن تتعشى موسيقى
نراها صمعتها منها المجلة الأولى « أنا إحدى المجلات » لا .. لا لا
عجب أن تكون هكذا « أنا موجهة الخ .. » لماذا أعدت إليه عن إعجاب العبر ؟
ونهدت إلى مكتبها بعد نسيخ الرسالة وبعد هبة كانت تساورها
الاحلام الجلية !

(البقية على صفحة ٣٩)

رحلة الى دير طور سيناء

للاستاذ الدمرداش محمد

... ..

١

كانت من الرفاق من شعوب مختلفة جمعنا المصادفات فاحسا
رغبة مشتركة للقيام برحلة الى قلب شبه جزيرة طور سيناء لزيارة
الشهير دير سانت كاترين ، فاتفقنا على تنفيذ الرحلة رغم ما تطوى
عليه من مشقة ومناعب جفول لكنها كانت مرغوبة نائرة دسالى العمل
بحماس شديد ساهم فيه الشباب منا والكهل والشيخ على حد سواء .
وبعد أن استكملنا عدتنا من مرافق السفر والاقامة وتزودنا بكل
ما يلزمنا من مللومات وغرائط . استأجرنا أربع سيارات من نوع
معروف بالمثانة ومقاومة الصدمات والرجات العنيفة . ثم جعلنا
إحداها لحمل المعدات والاخرى لركوب الجماعة.



من القاهرة الى دير سيناء

تستغرق هذه الرحلة عادة أسبوعا كاملا ثلاثا تقريبا في الذهاب ويومين
في الاقامة والتمرج على الدير ومثلها في العودة، هذا اذا لم صادفك عراقيل
في الطريق ولكن كثيرا ما يصبح على المسافر يوم أو بعض يوم في اصلاح
ما قد تصاب به سيارته من عطب أو في انقاذها من ورطة، فقد تنفوس

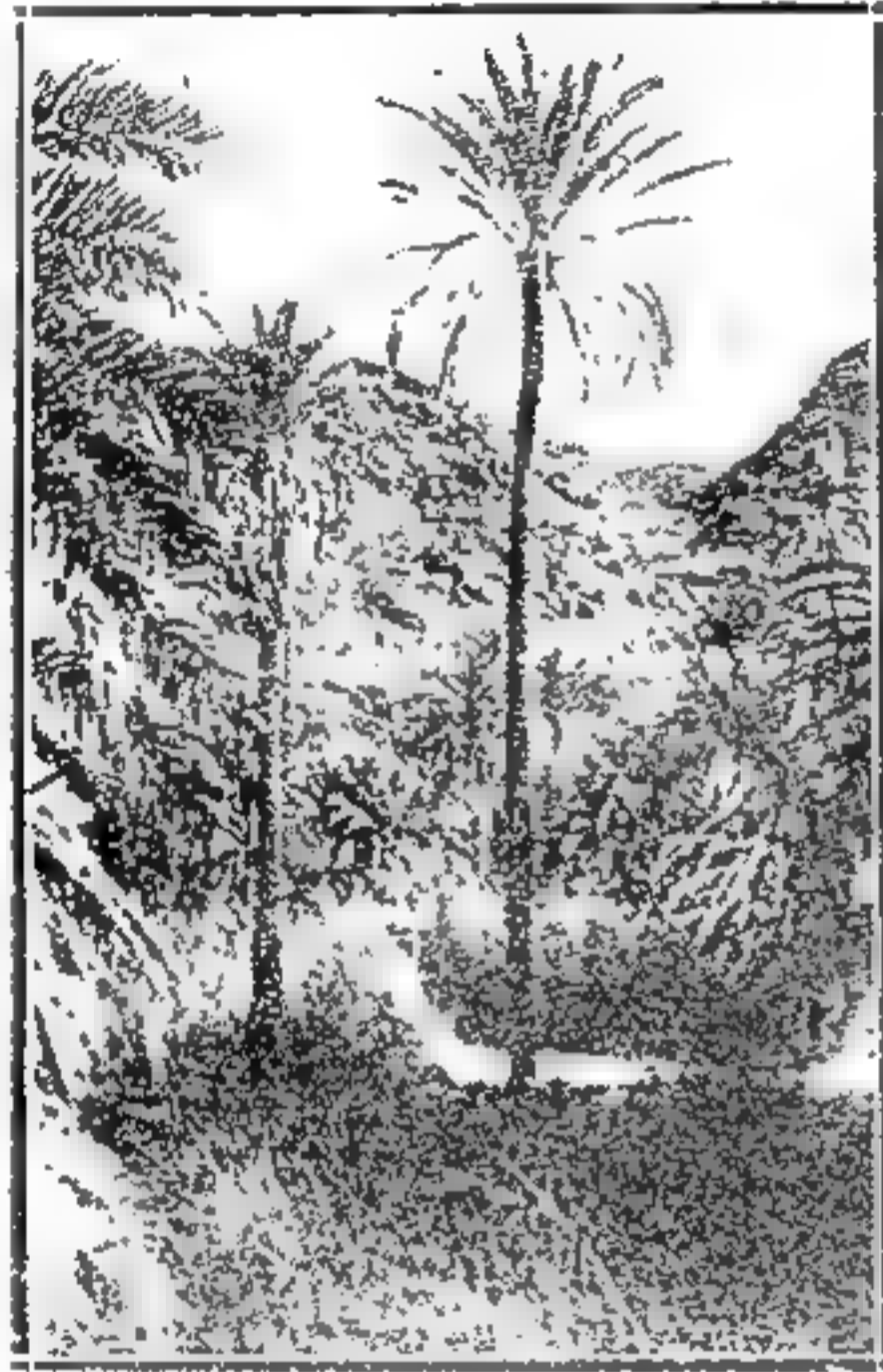
محلاتها في الرمل ولا يتيسر اخراجها منه الا بمجهود مشغوف تعب الكثران
الرملية من أكبر معطلات الانتقال السريع في الصحراء . وهي تكثر
الطريق في كثير من الجهات . وكذلك جلاميد الصخر وهي منتشرة في
كثير من الوديان ومخاري السول . الا أنها أقل خطورة من الكثران.



والمساكين القاهرة والدير نحو ٢٥ كيلو مترات قطعا للمسافر عادة
في ثلاث مراحل : المرحلة الأولى من القاهرة الى السويس . والمرحلة الثانية
من السويس الى ابو زينة على خليج السويس . والمرحلة الثالثة من ابو
زينة الى الدير .

عادنا القاهرة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ بساعتين
قاصدين السويس عن طريق الصحراء ، فوصلناها في الاصيل ونقائيا .
وفي اليوم الثاني عند المعبر عبرنا الى السويس الى الضفة الشرقية عند نقطة
الشاطئ، وبعد أن خصا سيارتنا ونامدنا انطلقنا سير نحو الجنوب
في طريق رملي مسطح وعن يميننا خليج السويس وعن يسارنا تلال
تتدرج في الارتفاع كلما عدت عما نحو الشرق . وبعد ساعة من الشط
مررنا بعيون موسى وهي عبارة عن واحة صغيرة قرينة من الخليج عالية
من السكان وساعات مديدة وكثيرة وبحيل وبعض اشجار اخرى .
وعند الظهر قطعنا وادي المرمدل . وهو وادعريض يسير من الشرق
الى الغرب ، كثير الشجيرات ، وافر الكلاب يتوسطه مجرى من الماء العذب وبعد
وادي المرمدل تعبر طبيعة الطريق فصير صحريا في كثير من اجرائه
كثير التعاريج والالتواءات بين انحناءات ارتفاع ، وتقوم في جهة الغرب
سلسلة من جبال عالية تحجب الحروب . وقبل المصير رزت امامنا
جبال المتجذز بلونها الاديكن وعلاها الشاهق . وبعد أن مررنا وادي
الطيب وهو وادى الترنديل كثير الماء انعطفت الطريق نحو الغرب وبعد
أن اجتروا مضيقا بين جبلين ، انحدرنا نحو البحر الى سهل واسع موار للحب
تقع ابو زينة في طرفه الجنوبي على مرفأ صغير للسفن وهي عبارة عن
قرية صغيرة بها منشآت شركة المحيز ومستودعاتها ومساكن

ايض واسودوا حمر، وجوانبها تكاد تكون رأسيه وقمها غرو طية تاطح
السحاب، والوادي كثير العشب والخيرات. وتقع واحة هيران في منتصفه
طولها نحو اربعة كيلومترات، يروىها نبع من الماء الرلال يتفجر من جوانب
الصخر ويسيل في مجارى تتخلل بساكن الواحة وتروى بها، والواحة عامرة
بالناس والحيوان والمزروعات والحشائش، ضيها من الحيوانات الحلى



واحة هيران

والنم والماعز، ومن المردوعات القمح والشعير والبقول، ومن الاشجار
الحيا واللبون المالح والتفاح والتين والتوت والسرو والعنب
والصير وغير ذلك من الاشجار البرية التي لا اعرف لها اسماء .
كان وصولنا الى الواحة قبل الغروب بساعة فزلنا ضيوفا على الحديقة
الساغة للدير وذا تلك الليلة با وقدر حبنا الراهب المشرف على الحديقة
ورادنا كراما فبالا عشاء شيا مركبا من شاة مشوية وبعض البقول
المطبوخة والتوا كنه المحمودة

وبعد العشاء جلست الى الراهب استمع لما يقول وهو من اصل يوناني
يتكلم العربية بطلاقة ولكنها مقولة مفهومة قاله: جئت هذه الواحة موقفا
من قبل المطرانية منذ ثمانية عشر عاما وكنت قد جاورت الستين فوجدت
فيها ما كنت اتشده من العزلة وطيب الاقامة ولا يزيدني مرور الايام
الا انصافا بها وحبها وقد عشت مع هؤلاء البدو الطيبين عيشة عائلية

الموظفين والعمال ومسجد ومدرسة أولية ونقطة بوليس ومكتب للبريد
والتلغراف ودكان صغيرة (كاتين) قديما فيها المسافر بعض ما يلزمه
كالأطعمة المجموطة والتزيين والسجائر، وبالقرب من الدكان المذخورة
مستودع للماء العذب الذي يؤتى به من السويس في البواخر والشركة
تعطيه للمسافر من غير مقابل

كان وصولنا الى أنزينة قبل الغروب بساعة فلم نشأ المبيت بها بل
تابعنا السير والطريق بعدها لمسافة ليست قصيرة صبق يسير فوق
صحور عالية شرف على البحر من جهة وتحف بها الجبال من الجهة
الآخري . وعند الغروب وصلنا الى نقطة بوليس لحمر السواحل واقعة
على البحر تبعد عن السويس نحو ١٥٤ كيلومترا فبقنا بالقرب منها .

وفي صباح اليوم الثالث تابعنا السير نحو باق الطريق المؤدى الى الطور
متبعين عن الطريق الشرقى للدير لكثرة قدامه الناعمة وهو الذي تسلكه
عادة سيارات مصاحبة الحدود . وعند الظهر وصلنا الى نقطة تفرع منها
طريق يتجه شرقا وهو طريق وادي هيران الموصل الى الدير فبقيناه وبعد
ساعة . وكان قدما بطيحا حد المبرقة الارض وكثرة الجلابد بها . دخلنا



منظر من وادي هيران

وادي هيران العظيم . وهو من اجمل الوديان التي شاهدها . طوله نحو ١٢٠
كيلومترا . كثير التماريح، وجباله حراسه شامخة ذات الوان متعددة بين

النقد

لاتينيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تنقل المناقشة بين الاستاذ العقاد وبينى من نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين الى الثقافة اللاتينية والثقافة السكونية. ولست أحب أن تنقل المناقشة الى هذا الموضوع. ولست أريد أن أستطيع أن أجاري الاستاذ العقاد في المعاصرة بين هاتين الثقافتين. ذلك لأنى أحب الثقافتين جميعاً وأؤثرهما جميعاً وأريد أن أتفهمهما جميعاً بل أريد أن أتفهم كل ثقافة أستطيع أن أصل اليها وأن أظفر بها بحظ سواء. كان ذلك من طريق القراءة، وفي النصوص الاولى أو من طريق القراءة، في التراجم. وإذا كنت أشكو شيئاً أو أصيبت بشئ، فهو أن قدرتي ووقتي لا يسمحان لي بأن أقرأ كل شئ، وأن أحد من كل ثقافة طرف قوى أو صعيد طويل أو قصير. ولم أقم قط مناقشة في مفصل ثقافة على ثقافة أو أبنار ثقافة على ثقافة بالقياس الى أديب كالأستاذ العقاد. أو الى رجل مثل كل هذه أن يتفهم ما استطاع من الثقافات الاسابية على اختلافها بل أذكر أن مسألة الثقافات المختلفة قد مررت بمسألة على مرصا في بعض الاوقات حين كنت أستطيع أن أوجه التعليم في مصر اليان المصرية بمصر انوجه. فكرهت دائماً أن أؤثر ثقافة على ثقافة، ورفضت دائماً موقف الخصومة الميفة من الدين كانوا يريدون أن يرضوا على مدارسنا الثقافية اللاتينية أو الثقافة السكونية، ودعوت وسأدعو دائماً الى أن تكون مدارسنا وجامعاتنا ملتقى لا عظم حظ ممكن من الثقافات. وأن يترك للطلاب وأسرهم حق الاختيار بين هذه الثقافات. وقد دعوت وسأدعو دائماً الى ألا تفرض على طلابنا وتلاميذنا لغة معينة من لغات أوروبا الكبرى. وإنما تدرس هذه اللغات الكبرى كلها في المدارس ويختار منها الطلاب وأسرهم ما يشاءون. وحينئذ ذلك أن الثقافات كلها قيمة حسنة وأن منفعتها الصحيحة إنما تتحقق يوم تأخذ منها جميعاً بخطوة مختلفة فلا يكون أسرى الانجليز ولا أسرى المصريين ولا أسرى الأذنان وإنما يكون مصر بين قُل كل شئ. بأحدون بحظهم من الثقافات الحية حسب مرجعهم ومافعهم وحاجاتهم وطاقاتهم أيضاً وإذا كان هذا مدهم في الصلة بين الثقافات الحية فمن غير المعقول أن أحاول في مفصل ثقافة على الأخرى. والذين قرأوا الفصل الذى

كتبته في الرسالة بذكرون أنى لم أؤثر اللاتينيين على السكسونيين ولم أهمل هؤلاء على أولئك، وإنما أنكرت ومازلت أنكر على الاستاذ العقاد زعمه أن العقاد اللاتينيين يؤثرون الطواهر والاضاحاج الاجتماعى ويتبعون النكت ومراسم الصالونات على حين يعنى العقاد السكسونيون بساطة الطبيعة وبالرجل من حيث هو رجل.

هذا المبطل هو موضوع الخلاف بين الاستاذ العقاد وبينى. ويسرنى أن الاستاذ قد يرى في الفصل الذى كتبه رد أعلى من أن يكون قد أراد أن يرمي اللاتينيين حكاهم بهذا الحكم. فهذه البراءة في نفسها انصافاً لمؤلا. العقاد اللاتينيين الذين جنى عليهم مدح الاستاذ أنطون الخيل لشعر شوقى رحمه الله.

وليس الدفاع عن العقاد اللاتينيين تعصباً لثقافتهم اللاتينية أو تسكراً لثقافة السكسونيين وإنما هو العلم بنفى أن يقرأ الاشياء في نصاها. وليس من الحق محال من الاحوال أن نقد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصه أو ثلثه كما أراد الاستاذ العقاد أن يصوره؛ وإنما النقد اللاتينى كان دائماً ومازال نقداً جدياً يقصد الى طبيعة الكاتب والشاعر في بواطنها. ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل. وقد يصطلىح في ذلك التأنيق والطرف ولكن ذلك ليس عيباً له ولا غرضاً منى وإنما يبيد ذلك وبفض منه لو لم يكن في النقد اللاتينى إلا تأنيق وطرف؛ فأما وفيه بحث وتحقيق، فأما. وفيه التماس لطبيعة الكاتب والشاعر في بواطنها. فقد يكون التأنيق والطرف شيئاً لا بأس به ولا معنى للزهد فيه.

وعجب جداً من الاستاذ العقاد أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطور مو اختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الادبية اليونانية واللاتينية على ما شرعه اوسططاليس في كتاب الخطاة والشعر من أصول اليونان. غريب جداً كره الاستاذ العقاد لهذه الحقيقة. فإن العقل الأورنى كله منهما تكن يتة ومهما تكن جنية اصحابهما هما يكن حظهما من التطور ولبد العقل اليونانى الرومانى حواء. رضىنا أم كرها ولست أدري لماذا جعل الاستاذ العقاد أن تكن طبيعة ارسططاليس ومنطقه والحياة ورياضيات اقليدس اصولاً لطبيعة الأوربيين المحدثين. ومنطقهم والحياة ورياضياتهم ولا يرضى أن يكون نقد اليونانيين والرومانيين أصلاً للنقد الحديث، مع أن اتصال الأدب الحديث بالأدب اليونانى واللاتينى مازال أقوى وأشد وأمتن

من اتصال العلم الحديث بالعلم اليوناني . ولست أدري لم يرمى الاستاذ العقاد أن يكون مفكر اليونانيين والرومان في السياسة والتشريع أصلاً من أصول التفكير الاوربي الحديث في السياسة والتشريع ولا يؤمن للتقد مثل هذه الصلة ؟ أم هل الاستاذ العقاد ينكر أن يكون بين العقل الاوربي الحديث وبين العقل اليوناني الروماني صلة ما بين الاصل والمرع ؟ فإن كان هذا مذهبه فليس من السهل أن يلتقي أو أن تنفق . بل ليس من السهل أن يلتقي الاستاذ أو يتفق مع الاوربيين انفسهم ومن الذي يزعم ان رقي التقاد الحديث وبعده ما ينمو من أصله القديم يقطع الصلة بينهما ؟ وما عمل التطور اذن في حياة الاحياء . وهل يساخر المحضرين المترفين وبين آثام الدين كانوا يكونون الكهوف والاعوار ويبعثون في الاحراش والمابات صلة ؟ ام هل نحن قوم قد خلفنا اسما وابكرناها ابتكاراً ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يوافق الاستاذ العقاد على أن التقاد لا يمكن أن يكون علماً يدرك قبل أن يوجد علم النفس الحديث ؟ أما اننا فلا نعرف أن التقاد علم ولا أحب له أن يكون علماً وانما أرى كما قلت في غير هذا الموضع أن يكون التقاد مزاجاً من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد ، وجد منذ كان السفسطانيون يعطون الناس في صقلية وايتنا صناعة الخطابة وفن الجدل . وجد حين كان ارسطوفان يوازن بين ايكولوس وايريوني أمام الظائرة من اللاتينيين وهو يمثل لهم قصة الضفادع أو عيد سيرس . وجد حين وضع ارسططاليس فن الخطابة وفن الشعر واستمر في روما عند سيبرون وعند خلفائه من نقاد الرومان . ووجد كذلك عند العرب . ووجد عند الاوربيين المحدثين قبل أن يوجد علم النفس الحديث . انما الذي نستطيع أن نوافق الاستاذ عليه هو أن هذه الفنون من التقاد القديم قد أصبحت الآن لا ترضينا ولا تنفينا كما أصبحت طيبة ارسططاليس وطب ابن سينا وطب جالينوس لا تمنعنا ولا تنفينا ، ولكن هذا شيء . وما يذهب اليه الاستاذ العقاد شيء آخر . اما أنا فاعتذر الى الاستاذ من أني لا أستطيع أن آخذ الاشياء بهذا الاخذ السهل الميسر القريب . ولأن اتق بها عند أصولها القريبة وانما أحب ان اتبعها وان اتبعها الى ابد ما أستطيع أن اصل اليه من الاصول . وقد يكون ذلك عيباً من عيوب الثقافة العربية التي نشأت عليها أو من عيوب الثقافة اللاتينية التي تأثرت بها ولكني حريص على هذا العيب لأني اراه الاصل الصحيح لكل بحث على له صفة من الجدد . ولست أشك في ان الاستاذ العقاد نفسه حريص على هذا العيب لأن الثقافة السكورية تكبره أشد الاكارو يحيل الى أن قد كان سكوريا ذلك الرجل الذي لم يرمه ان ينتهي بالاساية الى آدم فترقى بها أو تنزل في طبقات الحيوان الاخرى . ولست أدري لم تفر دووين حين يرد الناس الى القرود ولا تقرأ الادب الذي يردنا التقاد الحديث الى نقد ارسططاليس ؟

وبعد فأيها انشأ صاحبه : أهو علم النفس الذي انشأ التقاد هو التقاد الذي انشأ علم النفس الحديث ؟ مسألة تظهر غريبة بعض الغرابة لأن المعروف أن علم النفس فرع من فروع الفلسفة قد تطور حتى أصبح الآن علماً تتناول له المعامل بالدروس والتحليل ، والنقد من فنون الادب . ومع ذلك فهذه الغرابة لا تثبت اذا فكرنا في ان هذا التقاد انما هو تحليل للآثار الادبية وأراده الآثار الادبية انما هي صور لبعض الادباء الذين أنشأوها ولنفوس القراء الذين استمتعوا بها . فدراسة الآداب دراسة للنفس الانسانية . وليست هذه المكرة جديدة ولا عصرية وانما هي قديمة جداً عليها اعتماد اسططاليس في كتاب الخطابة والشعر وعليها اعتماد المرر انفسهم في فنون البيان . ومن المحقق الذي لا شك فيه أن الدراسات النقدية التي نشرها «سانت يوف» قد أعادت جدلاً على تكوين علم النفس الحديث . ومن المحقق الذي لا شك فيه ان «نبي» كان ناقداً ولكنه ألف كتاب العقل الذي لا يزال له حظرة العظمى في علم النفس الحديث . فليس وجود التقاد الحديث نتيجة لنشأة علم النفس ، وانما التقاد مؤثر جداً في نشأة علم النفس ومناثر جداً بهذا العلم وكلاهما قديم وضع اليونان أصوله الاولى وما معتذر الى الاستاذ العقاد من الرجوع دائماً الى اليونان فقد أراد الله أن يرجع اليهم دائماً كل ما لردنا تاريخ مظهر من مظاهر الحياة العلمية أو الفنية أو الادبية .

وهنا أريد ان اعاتب الاستاذ العقاد عتاباً رفيقاً . فقد زعم الاستاذ ان «سانت يوف» لا يشهد لمذهبي في نقد اللاتينيين وانما يشهد لمذهب الاستاذ لأن ما في «سانت يوف» من مراحع الى تأثره بالثقافة السكورية والدم السكوري . ذلك أن «سانت يوف» من اصل انجليزى وأمه كان يؤثر الشعر الانجليزى على الشعر الفرنسي في بعض العصور التي كتبها الانجليز يوف في بعض رسائله الخاصة .

اما ان «سانت يوف» كان يؤثر الشعر الانجليزى على الشعر الفرنسي فذلك شيء مشكوك فيه جداً لأن «سانت يوف» لم يكن يؤثر شيئاً أو قل كان يؤثر كل شيء . أو قل ان اردت التحقيق ان احص ما يتأثر به هذا الناقد العظيم انه كان شاكاً مسرفاً في الشك غير اليوم شيئاً وبعده غداً ويجوز أن يرجع اليه بعدد . ولقد اراد «اصل صاحبه» ان يخصص عقلية «سانت يوف» فقال انه لم يؤمن بشيء . ولم يقنع بشيء . ولم يؤثر شيئاً على شيء حتى حين اعتنى الكاثوليكية في الدين والروم متسم في الادب . وحدث عن نفسه زعماء الدين حتى هم «لاميه» أن يستصحبه الى روما . وزعماء الروم متسم حتى فن عظيمهم «فيكتور هوغو» .

كان «سانت يوف» اذاً عنى بشيء جديد من شعر أو نثر أو تاريخ فن من فنون المؤمنين القائلين بالايان حتى اذا أنقذوا قتلته بحثوا فيها زهدية وانصرف عنه وقرئته نفوراً شديداً . ولم تكن هذا دأبه في حياته العقلية والادبية

فحسب . بل كان دأبه في حياته العملية والشعورية . فقد كلف بالمداهب السياسية كلها وزهد فيها كلها وكلف بالكاتوليكية حتى قن الكاثوليك وبالبروتستانتية حتى شغف به البروتستانتون . وقال عنه « فاجيه » انه لم يكن يستطيع ان يحب امرأة . فيها أو كان يستطيع ان يحب النساء جميعاً . واذن فلا يسمى ان يمدحها « سانت بوف » حين ينشئ على الشعر الانجليزى نساء المقتون به ، طعله لم يكذب فرغ من هذا التناء حتى انكره . وهو كذلك قد انشئ على الشعر الفارسي حين ظهرت ترجمة الشهابية نساء المقتون به وهو مع ذلك لم يعرف الفارسية ولم تعشها نفاحه حقاً . وهب هذا الناقد العظيم قد أثر الشعر الانجليزى جماعاً على الشعر العربى ولم يمدح منه ولم يمدح الناس عن رأيه الصحيح في ذلك من ذا الذى يرغم مخلصاً ان هدايكى لائنات ان الناقد مدين برأيه لثقافة الانجليزية ؟ أؤكد للاستاذ أنى لم أعنف يوماً من الأيام انه هو مدين حتى يوحى الاربعين وغيره من دواوينه ولا بكتابه عن ابن الرومى ولا بكتابه عن جوت ولا بما حانه الكثيره الممتعة لثقافة الانجليزية الحصة التى يجبا ويدودعها . وانما هو مدين بهذا كله كما يرى « سانت بوف » لشخصيته وليسته الخاصة التى تشأبها عقله التى لا تكاد تتجاوز الكتب التى قرأها والمعانى التى فكر فيها والمسائل التى عرص لدرسها . حب « سانت بوف » لشعر الانجليز ان صح لا يجعله مديناً باده لا انجليزى . وأين يقع تأثير الثقافة الانجليزية في « سانت بوف » من تأثير الثقافة العربية فيه ؟ والذى كتبه سانت بوف عن الانجليز وعن الاجانب كلهم ليس شيئاً يذكر بالنقياس الى ما كتبه عن الفرنسيين في كتبه الضخمة المدهشة في هذه المجلدات الستة عن بورويال وفي هذه المجلدات الثمانية عن الصور ، وفي هذه المجلدات الثلاثة والمشرى اثني سماها احاديث الاثنين . وفي هذين المجلدين عن شاتوبريان واصحابه اين يقع ما كتبه « سانت بوف » عن الانجليز مما كتبه عن الفرنسيين بل عما كتبه عن اليونانيين واللاتينيين ؟ فالاستاذ العقاد يعلم بالطبع ان « سانت بوف » عين أستاذاً للادب اللاتينى في الكوليج دوفرانس ، ولما سمعه الطلاب من القاء دروسه عن فرجيل لأنه كان يؤيد سياسة الامبراطورية الثابتة طمع الدروس التى لم يستطع القاءها فكان منها كتاب قيم عن صاحب الايادى . وقد كتب « سانت بوف » عن كثير من شعراء اليونانيين وعن الاسكندرانيين منهم خاصة . فما بان الاستاذ العقاد يرى تأثير « سانت بوف » في نقده بالثقافة الانجليزية ولا يرى تأثره بالثقافة اللاتينية واليونانية لأنه أحب شعراء اللاتين واليونان بالثقافة الابطالية لأنه كتب عن شعراء إيطاليا في عصر النهضة . وبالثقافة الالمانية لأنه كتب عن جماعة من الألمان وعن جوت ؟

أما أن أم الناقد العظيم كانت من أصل انجليزى فالاستاذ يبالغ في

نتيجته ، فقد كانت أم « سانت بوف » نصف انجليزية كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، وذلك ان أباها كان محاراً فرنسياً وان أمها كانت انجليزية . فاذا كان الاستاذ العقاد يرى أن هدايكى ليكون « سانت بوف » مديناً بمدحه في القدل الانجليزى فليسمح لى ألا أذهب معه في هذه الطريق لأنها طريق شديدة الالتواء . للورثة أثرها في تكوين الفرد ولكن من الاسراف أن يذهب في تقدير هذا الأثر مذهب الاستاذ ومن العريب أن الذين أرادوا أن يدرسوا مذهب « سانت بوف » في العهد لم يحطوا بهذا العصر الانجليزى في تكوينه . فلم يثقت « فاجيه » ولا « لانسون » الى أم « سانت بوف » كثيراً . أما من رأى الاستاذ . العقاد فيه عجيب ، فهو يرى أنى لم أوفق حين استشهدت به أيضاً لأن عمه عليه الانجليزية في صغره ولأن نين شغف بالآداب الانجليزية فكنت لها تاريجاً ، ولكن الاستاذ العقاد هو تعلم الانجليزية صغيراً وشغف بها وقرأ كثيراً من الآداب الانجليزية . والثقافة العربية صعبة بالنقياس الى الثقافة الانجليزية . ومع ذلك فأما لا أطمش الى الحكم بأن الاستاذ مدين بأدبه للانجليز . فكيف اذا عرفنا أن الثقافة العربية التى تشأبها نين ومنع بعضها قوية تستطيع أن تثبت للثقافة الانجليزية ، وأن نين لم ينبغ بتاريخه للآداب الانجليزية وانما سع بكتب أخرى أجل خطراً من هذا الكتاب ، نبع بكتابه عن لاهوتين الهنئى مال به الدكتوراه من السوربون ، ومنع بكتابه الضخم الذى أرح فيه فرنسا الحديثة ، ونبغ بكتابه عن العقل ، ونبغ بكتابه في فلسفة الفن . فهل يطن الاستاذ بعد هذا كله أنى لم أوفق حين انحدث سانت بوف وتبين أعلى مثل للنقد اللاتينى العربى ؟ وما دسى أما اذا كان الله قد أراد أن يكون هذان الرجلان ومزين خالدين لحياة الادب العربى في القرن الحامسى ؟

ولقد بعدنا جداً عما كاسيله من تشخيص النقد العربى اللاتينى ، فهو نوع من تنوع السكتة وتأني الصالونات أم هو نقد بأدق معاني كلمة النقد ؟ لى . ينبغ الاستاذ العقاد أن يحتاط وأن يقول انه لم يرد العقاد الفرنسيين جميعاً ، وانما أراد أكثرهم أو قلهم ، وليس من الحق أن كثرة العقاد الفرنسيين أو قلهم كما طس الاستاذ . وانما الحق الذى لا سبيل الى الشك فيه ان السمة الفنية الخاصة هي أظهر ما يتصف به النقد العربى . وان من ظلم العلم والحق ان يقال في هذا النقد غير ذلك . وأما بعد فهل يسمح لى كتاب آخرون أرادوا أن يحوصروا معاً في هذا البحث بأن أحدث اليهم حديثاً قصيراً ولكنه لا بد منه . فأما أحد هؤلاء الكتاب فالاستاذ سلامة موسى الذى تفضل (الفية على صفحة ٤٦)



ضحى الاسلام

الله العلامة أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر (٥٠٠) صحت من القطع الكبير وقدم له (لهكتور محمد حسين) هذه المقدمة وسعود الرسالة الى هذا الكتاب فقم فنقول كلمتها فيه . قال الدكتور

أراد ناقد من نقاد التمثيل أن يثني على قصصه، وملكته عليه إعجابه، وكان صاحب القصة له صديقاً حميماً، فتوقع أن يلام في الثناء عليه، ولكنه لم يتخرج من إهداء هذا الثناء الى صديقه في غير تردد ولا تحفظ. وأعلن في صراحة - أعجبتني - أن من خيانة الأصدقاء أن تتخذ صداقتهم وسيلة الى جحود ما لهم من حق، وإخفاء ما لهم من فضل، وتجاهلهم هذه الجمالة السلية التي تدفعك الى أن تتردد وتحفظ، وتقدم اليهم ثناءً متعمداً شاحباً، حتى لا تسهم بالاغراق، ولا توصف بالمجاجة. وحتى لا يسوء ظن قرائك بنصيبك من الانصاف، وحظك من الاستقلال.

رأى ذلك الناقد، وأنا أرى منه، أن هذا النحو من معاملة الأصدقاء خيانة منكورة، وظلم قبيح. وأنه في الوقت نفسه نوع من اتهام النفس، والاسراف في سوء الظن بها. فليس ينبغي للناقد أن يُصدِرَ - فيما يرى من رأى - عما يقول الناس فيه أو ما يمكن أن يقولوا فيه، وإنما هو مدين لنفسه ولقرائه بما يعتقد أنه الحق الخالص، سواء أَرْضَى الناس أم سخطوا، وسواء أوافق رأيه هوى القراء، أم انخرف عنه.

وعلى هذا النحو من الاستعداد عمدت دائماً الى النقد، واجتهدت ما استطعت ألا أظلم الصديق لصداقته، ولا الخصم لخصومته، وليس الظلم مقصوداً على أن تنص من العمل الأدبي أو العلمي، أو تنقص من قيمته لأن صاحبه صديق لك، أو حبيب عليك. بل هناك ظلم أقبح من هذا وأشنع، وهو أن يثني على من لا يستحق الثناء، أو تغلو في حمد من لا يستحق الحمد إلا بمقدار، وأن تحمد الخصم لأنه خصم، ولأنك تكره أن يقول الناس فيك خاصمه فعجز عن انصافه وتحامل عليه.

ولست أريد أن أخون صديق أحمد أمين، بالاسراف في

الثناء عليه، ولا أن أخونه بالنقص منه والتقصير في الثناء. وأريد أن أنسى صداقته، وأهمل - ولو لحظة قصيرة - ما بيني وبينه من مودة كلها صفو وإخاء. استطعنا أن نجعله فوق ما يتنافس الناس فيه من المنافع وأغراض الحياة، إنما أريد أن أنصفه، وأشبهه لقد فكرت وقدرت، وجهزت نفسي في أن أجده شيئاً من العيب نبي الخطر أصف به هذا الكتاب الذي أقدمه الى القراء فلم أجده، ولم أوفق من ذلك الى قليل ولا كثير.

وليس ذنبى أن أحمد أمين، قد قصد الى عمله في جد وأمانة وصدق، وقدرة غريبة على احتمال المشقة والعناء، والتجرد من العواطف الخاصة. والآهواء التي تمسك بالنفوس، فوفق من ذلك الى أعظم حظ يستطيع العالم أن يظفر به في هذه الحياة. نعم؛ وليس من ذنبى أن أحمد أمين، قد استقصى فأحسن الاستقصاء، وقرأ فأجاد القراءة، وفهم فأفطن الفهم، واستنبط فوفق إلى الصواب. ليس من ذنبى هذا ولا ذاك، وليس من ذنبى أن أحمد أمين، يمد هذا كله، ويفضل هذا كله، قد فتح في درس الأدب العربي باباً وقف العلناء والأدباء أمامه - طوال هذا العصر الحديث - يدنون منه ثم يرتدون عنه، أو يطرقونه فلا يفتح لهم، ووفق هو الى أن يفتح على مصراعيه، ويظهر الناس على ما وراءه من حقائق ناصعة، يتهيج لها عقل الباحث والعالم والأديب، ليس شيء من هذا ذنبى أنا! وإذا لم يكن بد من أن يلام أحد لأن عالماً مصرياً قد وفق إلى هذا الفوز المبين، أهدى إلى اللغة العربية كتاباً لم يسبق الى مثله، فليُكتم هذا العالم المصري نفسه، وليعاقب أحمد أمين، لأنه قد ظفر بهذا الفوز.

لقد اختار أحمد أمين، لكتابه عنوانه هذا، ضحى الاسلام، وهو لا يقدر إلا أن الضحى يأتي بعد الفجر، وأنه وقد أهدى فجر الاسلام، يجب أن ينغمس في ضحاياه. أما أنا، فكنت أفهم معه هذا الفهم، وأذهب معه هذا المذهب، ولكنى لم أكاد أبداً معه قراءة الكتاب حتى أخذت أحس شيئاً لم أريد أن أتحدث به إليه، مخافة أن يكذب ظني مضيناً في قراءة الكتاب، ولكتا مضيناً، ومضينا حتى أتممنا هذا الجزء الذي نقدمه الى

القراء . فإذا هذا الشيء الذي كنت أحسه يزداد وضوحاً وجالاً وقوة . وإذا ظني يصدق شيئاً فشيئاً حتى يصبح يقيناً ، وإذا أنا مؤمن إيماناً لا يشوبه الشك بأن هذا الكتاب الذي أنا سعيد بتقديمه إلى القراء يُلقي على تاريخ الإسلام في العصر العباسي الأول نوراً رائعاً وضياءً قوياً هو أشبه شيء بنور الضحى .

فإن الكتاب ، ضحى الإسلام ، لأنه يدرس تاريخ الحياة العقلية للمسلمين في القرن الثاني للهجرة ، وهو ، ضحى الإسلام ، لأنه قد جلي هذه الحياة وأظهرها للناس كما وضع ما يمكن أن تكون ، وكأجل وأبهى ما يمكن أن تكون ، ولست أدري أيهما أهني ، بهذا الفوز ، أحمد أمين ، لأنه قد جد وألح ومضى في الجدل والالجاج ، حتى انتهى إلى هذا التوفيق ، أم الجامعة المصرية لأنها قد اعتدت إلى ، أحمد أمين ، ووكلت إليه ما وكلت من أنواع الدرس وفنون البحث ، ولعل الخبير كل الخبير في أن أصرف هذه التهنئة عن ، أحمد أمين ، وعن الجامعة إلى الذين يقرأون اللغة العربية ، ويعلمونهم أن يؤرخوا آدابها ، وينكشفوا ما اشتملت عليه من الكنوز التي كانت مجهولة إلى الآن ، هؤلاء أحق بالتهنئة لأنهم سيرون منذ اليوم إلى أغراضهم في طريق واضحة سهلة معبدة ، يفرها نور الضحى .

لن تكون حياة المسلمين منذ اليوم ، كما كانت من قبل ، غامضة مضطربة ، يتحدث عنها مؤرخو الآداب بالتقريب لا بالتحقيق ، ويقولون فيها بالظن لا باليقين . ذلك عصر قد انقضى ، وألقى بينه وبين الذين سيؤرخون الآداب ستار صفيق . ألفاه ، أحمد أمين ، وأصبح الذين يقصدون إلى تاريخ الأدب قادرين منذ اليوم على أن يحققوا ويتيقنوا ، ويسيروا في بحثهم على بصيرة وهدى .

ما أكثر ما كنا نصفيق صدراً بهذه الرموز الغامضة التي كان يلجأ إليها مؤرخو الآداب حين كانوا يذكرون تطور الحياة الإسلامية — أيام بني العباس — بفضل الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم . وبفضل اتصال العقل العربي بالعقول الأجنبية ، وبفضل الترجمة والمترجمين : والتأليف والمؤلفين . كانت هذه الألفاظ كلها رموزاً إلى الآن تدل على أشياء كثيرة ، ولكنها لا تدل على شيء . تصورُ أمام الباحثين صوراً مختلطة مضطربة لا تحصى ولا تستقر ، فهي ذاهبة أبداً ، جائية أبداً ، غامضة أبداً . نسى إليها ، ولا تظفر بها . أو يصرفنا عنها الكسل العقلي ؛ الذي هو آفة حياتنا الأدبية في هذا العصر .

أما الآن فقد ضببطت هذه الصور أحسن ضبط ، وجلت أحسن تجلية ، وأصبحنا إذا ذكرنا تطور الأمة العربية أو الأمم الإسلامية في القرن الثاني للهجرة نعرف بل نحس حقيقة هذا التطور ومصدره ، والآماد التي انتهى إليها ، وأصبحنا إذا ذكرنا الحياة الاجتماعية للمسلمين في هذا العصر لا نقول كلاماً مبهماً ، وإنما نقول كلاماً يدل على ما يراد به أحسن دلالة وأجلاها : يدل على طبيعة هذه الحياة وما تقوم عليه من اتصال بين الأفراد والجماعات ، على اختلاف الأجناس والبيئات والأمزجة ، يدل على طبيعة الزواج الذي كان يكون بين هؤلاء ، الناس فيخلط دماءهم خلطاً ، أو قل يمزجها مزجاً . يدل على طبيعة الرق الذي عاها الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم ، وصهرها كلها في مرجل واحد هو الدولة الإسلامية ، فكان منها شخصية جديدة كل الجدة . طريقة كل الطراقة ، هي شخصية الأمة الإسلامية .

نعم ، ويدل على هذه الطبقات التي كان يتألف منها الجسم الاجتماعي . للأمة الإسلامية ، والتي كانت تنقسم فيها بين الأعمال الكثيرة المختلفة ، التي يحتاج إليها هذا الجسم لا ليحيا فحسب ، بل ليرفه هذه الحياة ويرقيها ، وبأخذ فيها بأعظم حظ ممكن من الترف المادي والعقلي والشعوري جميعاً .

وإذا ذكرنا الثقافة اليونانية ، فلن نفهم منها منذ اليوم هذا المعنى المهم الذي رمز إليه بالفلسفة أحياناً ، ولكننا سنعرف بالضبط مقدار ما أخذ العرب عن اليونان ، وكيف أخذوه . ومن أين أخذوه . وكيف أساغوه أولاً ، ثم تمثلوه بعد ذلك ؟ . وقل مثل هذا في الثقافة الهندية والفارسية ، أستغفر الله بل خيراً من هذا ، قل أكثر جداً من هذا ، فما أعلم أن باحثاً عن تاريخ الأدب العربي وفق إلى تحقيق الصلة بين العرب والهند ، أو بين العرب والفرس إلى مثل ما وفق إليه ، أحمد أمين .

وهو — بعد هذا كله — أول من بسط هذا في اللغة العربية بسطاً يطمئن إليه الباحث الذي يسلك إلى بحثه طريق الجد والصدق ، لا طريق العبث والتضليل .

وإذا ذكرنا الثقافة المسيحية والثقافة اليهودية ، فلن نفهم منهما منذ اليوم ما كنا نفهمه من قبل ، من أن اتصال المسلمين باليهود والنصارى قد أحدث بين أولئك وهؤلاء ، ضرورياً من التأثير العقلي العام .

ولكننا سنعرف طبيعة هذا التأثير ومقداره ومصدره ، ثم

سنضع أيدينا على مظاهر هذه الحياة الجديدة ، فيما أتج المسلمون من أدب وعلم وفن .

أستطيع أن أقول إن واحد أمين ، حينما انتدب لتأليف هذا الكتاب قد اتخذ لأمة المحارب ، ووضع أمام عينيه غرضاً أقسم ليلفته ، أو ليعدل عن إظهار الكتاب . وهذا الغرض : هو تخلص الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني من الغموض والابهام ، وما زال بهذا الغموض والابهام حتى أجلاهما عن موقفها ، وانتزع منهما حياة المسلمين العقلية إلى منتصف القرن الثالث للهجرة . وكان يزورني كل أسبوع ومعه طائفة جميلة رائعة من الغنائم التي كان يكسبها في هذه الحرب الشاقة المتصلة ، فأقسمه سعادته بالظفر ، واغبطه بالفوز .

ولست أحب أن تقدر أني أعمد في هذا الكلام إلى ضروب المجاز والوان التمثيل لأزين القول وأمنحه ، ولكني أحب أن تستيقن أني إنما أقول الحق خالصاً من كل زينة ، بريئاً من كل تنميق . فقد كان تأليف هذا الكتاب حرباً عنيفة طويلة ممتدة بين المؤلف وبين الغموض والابهام . وكان المؤلف كلما تقدم خطوة وقف ينظم انتصاره ، ويصوغ ثمراته هذه الصيغة الجميلة التي سترها في فصول هذا الكتاب ويتأهب في الوقت نفسه لهجمة أخرى يكسبها موقعة أخرى ، ويتنصر بها انتصاراً جديداً .

ومع أن المؤلف قد أنفق جهداً قوياً في أن يجنبك مشاركته فيما كان يحتمل من عناء ، ويلقي من مشقة ، ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة . ومطالوة المائل المعضلة التي كانت تعرض له . فأنت وابدأ أثر هذا كله في فصول الكتاب . حين ترى المؤلف يسير في أناة تشبه البطء . ويعرض عليك جزئيات ضئيلة ، تشبه أن تكون إغراقاً في التفصيل ، وتقليداً للجاحظ في حب الاستطراد . ولكن اثبت لهذا البطء . واصبر لهذا التفصيل ، وامض مع الكاتب في رفق . وأناة فسترى أن نتيجة هذا الثبات والصبر والرفق أقوم جداً بما كنت تظن ، وأنفس جداً مما كنت تتظر ، وأن الكاتب لم يتورط فيها تورطاً ، وإنما قصد إليها قصداً ، ونعمدها تعمداً : لأنه لم يكن يستطيع أن يعدل عنها حتى يضحى بالأمانة العلمية . والتحقيق الذي يفرضه البحث الحديث فرضاً على العلماء . ولا تحف من هذا البطء ، ولا تشفق من هذه المطالوة ، فلن يعترضك ملل ، ولن يقل من حدك سأم ، ولن تضيق

بالكتاب لحظة . فقد عرف الكاتب كيف يهون عليك طول الطريق إلى غايتك ، وكيف يهين أمامك في هذه الطريق من الزهر ما يستهوي عينك ، وكيف ينشر حولك في هذه الطريق من الأصدااء الحلوة ما يخلب أذنيك . وأنا زعيم بأنك ستحتاج إلى أن تعيد قراءة بعض الصحف وبعض الفصول . وسترى أن الكاتب على ابطائه وأناته مسرع مسرف في السرعة بعض الأحيان .

أشهد لقد وفق . أحد أمين . في هذا الكتاب إلى الاجادة العلمية والفنية معاً : استكشف الحياة العقلية الإسلامية استكشافاً لم يسبق إليه ، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شئ . عن جفاء العلم وجفوة ، وأدنى شئ . إلى جبال الفن وعدوبته . فلنعم القراء بفصول هذا الكتاب ، ولنعم المؤلف بما ينعم به الظاهر حين ينتهي إلى فوز لا تشوبه شائبة . ولتكن هذه الحياة الجادة الخصبه المنتجة . في تواضع ولين جانب . التي يجيهاها أحد أمين . درساً نافعاً . ومثلاً صالحاً للذين يريدون أن يحبوا في مصر حياة العلماء .

طه حسين

المهمل الصافي

لأبي المحاسن بن تغري بردي

للاستاذ عبد الله عنان

من آثارنا التاريخية النفيسة كتاب « المهمل الصافي » والمتوفى بعد الوافي . ، تأليف أبي المحاسن بن تغري بردي المؤرخ المصري الكبير المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) وهو معجم ضخم للتراجم يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة . وتوجد منه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية . وفيه يترجم المؤلف أعلام الاسلام منذ أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز أيك التقي زوج شجرة الدر وملك مصر (٦٤٨ - ٥٥٥ هـ) أعني من منتصف القرن الثالث عشر الميلادي إلى منتصف القرن الخامس عشر . ويفيض بوجه خاص في سير أعلام مصر والشام من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء ، ويترجم أيضاً بعض ملوك النصرانية وأمرائها في هذه العصور ، مرتباً ذلك كله على حروف المعجم . وقد جعل أبو المحاسن مؤلفه تكملة أو ذيلاً لمعجم الصفدي الشهير « الوافي » . ولهذا الأثر

قيمة تاريخية خاصة ، لأن مؤلفه وهو من أمراء البلاط القاهري في القرن التاسع الهجري لم يتأثر في وضعه بمؤثرات أو أهواء خاصة ، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة معاصريه ، حسبما يشير إليه هو في مقدمته ، إذ يقول إنه وضع كتابه غير مستدعي إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان ، ولا مطالب به من الأصدقاء والاعوان ، ولا لتأليفه وترصيعه من أمير ولا سلطان . والمعنى الذي يقصده المؤلف بهذه الإشارة ظاهر : فقد كانت معظم التراجم في عصره توضع بوحى معين أو تحقياً لشهوات الخصومات السياسية والأدبية ، التي جعلت من كتاب القرن التاسع ومؤرخيه أحزاباً أدبية متنافرة متخاصمة . ولكن أبا المحاسن يقدم لقارئه سير معاصريه والقريين من عصره في صوراً أكثر استقلالاً وحرية في التقدير والحكم .

هذا الأثر المصري النفيس ما زال مخطوطاً لم ينشر ، كعظم آثارنا الأدبية . ولكن المستشرق المعروف الأستاذ (فيت) مدير دار الآثار العربية ، أخرج لنا منذ عهد قريب بالفرنسية مجلداً ضخماً عن محتويات المهمل الصافي ، وسماه بنفس الاسم ، ونشر ضمن بحرته المجمع العلمي المصري . وكان ضمن مجلدات ثلاثة من وضعه قدمها أخيراً إلى جلالة الملك ، والواقع أن كتاب مسيو فيت هذا لا يمثل كتاب المهمل الصافي ، لا في كثير ولا قليل من محتوياته ، فهو على رغم كونه يقع في ٤٨٠ صفحة كبيرة ، ليس أكثر من فهرس الكتاب الأصلي ، يمهده بسيو فيت بمقدمة صغيرة يصف فيها الكتاب ومحتوياته ، ويحصى عدد التراجم التي يتضمنها (وعددها ٢٨٢٢ ترجمة) حسب صفات أصحابها من أمراء وقادة سياسة ونجار وأدباء وعلماء . الخ ، ثم يكتفي في كل ترجمة بذكر اسم صاحبها وتاريخ مولده ووفاته ورقم الورقة التي يشغلها من المخطوط الأصلي ؛ ويذكر المراجع الأخرى التي تشير إلى هذه الترجمة . وأخصها كتاب النجوم الزاهرة لنفس المؤلف (أبي المحاسن) وخطط المقرئزي ، وابن حجر ، والسخاوي . الخ ، ثم يذيل ذلك بفهرس أبجدي عام .

وهذا مجهود له قيمته من الوجهة العلمية بلا ريب . ولكننا نلاحظ أن الفائدة التي ترتب عليه بالنسبة لكتاب المهمل الصافي ليست كبيرة ، فهو كما قدمنا فهرس أو دليل فقط للبحث في الكتاب الأصلي . والتراجم التي يتضمنها الكتاب الأصلي مرتبة على حروف المعجم ، ولم يكن عسيراً على الباحثين أن يستخرجوها منه . وليس مما يقدم البحث كثيراً أن يرشدنا مسيو فيت إلى أرقام

المجلدات والصحائف ، وأن يحيلنا في التراجم إلى مراجع يعرفها كل مشتغل بالتاريخ المصري . وكان خيراً لو أن مسيو فيت بذل هذا المجهود في نشر الكتاب نفسه أو جزء منه ، لأن هذا الفهرس الضخم يقع في نحو الخمسمائة صفحة ، أعني نحو نصف المخطوط الأصلي ، وقد أتفق في إخراجه ما يكفي لإخراج مجلد ضخم على الأقل من المخطوط الأصلي . على أننا نرجو أن تتقدم لنشر هذا الأثر المصري النفيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، إلى جانب كتاب السلوك في دول الملوك ، الذي تشتغل الآن بطبعه . فتسدي بذلك إلى التاريخ المصري وإلى البحث فيه خدمة جليلة .

لاتينيون وسكسونيون

(بقية المنشور على صفحة ٤٢)

جلس مجلس القاضي وأصدر بين الثغادين حكم الوائق المعلنين في أسطر ما أحسبها تجاوز العشرة . ووجد طريقاً إلى أن يشار في هذه الأسطر القليلة بين الانجليز والفرنسيين وبين أناطول فرانس وبرناردشو وإن يقول إن الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر وإن الانجليز يقودون العالم الآن . أظن أن الأستاذ سلامة موسى يوافقني على أن هذه المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضى فيها بحجة قلم وهذا الإيجاز الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو إلى الانقسام .

وأما الكاتب الآخر فهو الأستاذ محمد علي غريب . فقد كتب الأستاذ في البلاغ فصلاً أشهد أنه أضحكني وأضحكني ضحكاً فيه إعجاب كثير . فهو يسخر من العقاد ومنى لانا تناقش في مسألة كهذه لا تصلح موضوعاً للمناقشة ولا تنتهي المناقشة فيها إلى نتيجة عملية . وله كل الحق في أن ينكر هذه المناقشة لولا أنه يخطئ . حين يطلب أن كل بحث أو مناقشة أن تكون له نتيجة عملية . فتكون المناقشة خيراً في نفسها وقد يكون من القصور أو التفصير ألا يكتب الناس إلا ليحفظوا غرضاً عملياً . وقد يكون إحقاق الحق في نفسه أهم غرض ينبغي أن يكتب من أجله الكتاب . وقد يكون الأستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أن ليس في مصر نقد أدبي مصري ويكتفي أنه هو ينقد الأستاذ العقاد وينقدني . وقد يكون الأستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أننا نجادل في الأدب الاجنبي ولا نتج شيئاً . فأنا أظن أن الأستاذ العقاد قد أنتج شعراً وشرأ وأظن أني لم أتفق حياتي عبثاً . وأنا أحب أن ينقدنا الناقدون بل أنا شديد الحرص على هذا النقد وقد أفتن به أحياناً ، ولكني أحب أيضاً أن يتلقى هؤلاء الناقدون نصيحاً لهم لقاء حسناً ، لعل أحسن ما تنصح به لهم ألا يسرفوا على أنفسهم ولا على الناس .